ماستر(2) نقد/ مقياس علم تحقيق النصوص

السداسي الثالث

إعداد: أ. قيداري قويدر

محـــــاضـــــرات

المصادر والمراجع:

1- الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006.
2- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998
3- محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب
4- أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط3، 2005
5- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1985
6- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوط عربي، دار القاهرة، القاهرة، ط1، 2004
7- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002
8- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات العربية، مكتبة مصباح، جدة، السعودية، ط2، 1989
9- حمدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1998
10- جاسر بن محمد بن مهلهل الياسين، وعدنان بن سالم الرومي، المرشد الوثيق إلى مراجع البحث وأصول التحقيق
11- بشار قويدر وحساني مختار، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 1999.
12- عبد الكريم عوفي، صناعة فهرسة المخطوطات، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 39، ج1، 1995
13- أحمد أبا الصافي جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015
14- أحمد شوقي بنبين، علم المخطوطات والتحقيق العلمي، كلية الآداب، الرباط، ط1
15- معهد المخطوطات العربية، www.malecso.org
16- أحمد شوقي بنبين، الكوديكولوجيا: خطوة أولى وعنصرا أساسا في عملية التحقيق العلمي، المؤتمر السادس في تحقيق المخطوطات الإسلامية الموسوم بـ "تحقيق المخطوطات الإسلامية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية"، نظمه مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: 23-24 محرم 1435ه/ 26-27 نوفمبر 2013
17- أحمد شوقي بنين، ما المخطوط؟ مجلة دعوة الحق، عدد337، ماي 2004، دار المغرب
18- أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1997
19- قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل، الرياض، ط1، 2001
20- الشريف حاتم بن عارف العوني، العنوان الصحيح للكتاب تعريفه وأهميته، وسائل معرفته وإحكامه، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1419ه

محاور مقياس المخطوطات وآفاق التحقيق

المحور الأول: مدخل اصطلاحي تاريخي:

(مح/1) مدخل الاصطلاحي

1- مفهوم التحقيق لغة واصطلاحا
2- مفهوم النص لغة واصطلاحا
3- مفهوم التراث لغة واصطلاحا
4- مفهوم المخطوط لغة واصطلاحا

(مح/2) مدخل التاريخي

1- الجذور الأولى لتحقيق النصوص عند المسلمين:
   أ- معارضة النبي عليه الصلاة والسلام القرآن مع جبريل عليه السلام
   ب- معارضة زيد بن ثابت ما كان يكتبه من الوحي مع النبي عليه الصلاة والسلام
   ت- جمع القرآن على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أول نص إسلامي مكتوب)
   ث- جمع القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه
2- حركة إحياء الكتب وتحقيقها في مصر وإسهامات المستشرقين: (مح/3)
   أ- حركة إحياء الكتب وتحقيقها في مصر،
   ب- جهود وإسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي

المحور الثاني: مجالات علم المخطوط العربي:

1- الجانب الببليوغرافي (الفهرسي) وأهميته في عملية التحقيق (مح/4)
2- الجانب الكوديكولوجي Codicologie وأهميته في عملية التحقيق (مح/5)
3- الجانب الباليوغرافي Paleographie (دراسة الخطوط) (مح/6)
4- جانب الدراسة والتحقيق (نفرد له المحور الثالث)

المحور الثالث: جانب الدراسة والتحقيق:

1- جمع نسخ المخطوط ودراستها ومقاييس ترتيبها (مح/7)
2- تحقيق عنوان الكتاب واسم مؤلفه ونسبته إليه (مح/8)
3- تحقيق عنوان الكتاب (مح/9)
4- تحقيق اسم المؤلف (مح/10)
5- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه (مح/11)
6- تحقيق متن الكتاب المخطوط (مح/12)
   أ- الضبط
   ب- التخريج
   ت- وضع الفهارس
7- التصحيف والتحريف: (مح/13)

(م1) مدخل اصطلاحي مفاهيمي

1- التحقيق لغة واصطلاحا:

أ- التحقيق لغة:

"التحقيق أصله في اللغة من حقّ الشيء إذا ثبت صحيحا، فالتحقيق إثبات الشيء، وإحكامه، وتصحيحه، تقول: حقّقت الأمر، وأحققتُه، إذا أثبتّه، وصرتَ منه على يقين". (الصحاح 1461/4) (اللسان –حقق-333/11).

"أصل التحقيق من قولهم: حقق الرجل: صدّقه.. والإحقاق: الإثبات، يقال: أحققت الأمر إحقاقا، إذا أحكمته وصححته".

ب- التحقيق اصطلاحا:

يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه، وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

- تحقيق عنوان الكتاب وتوثيقه
- تحقيق اسم المؤلف وتوثيقه
- تحقيق نسبة الكتاب وتوثيقه
- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه.

يعرف الصادق بن عبد الرحمن الغرياني التحقيق بقوله:"تحقيق المخطوطات والكتب هو إخراجها ونشرها وتيسيرها للاستفادة منها، في الصورة التي أرادها مؤلفوها، أو لأقرب ما تكون إلى ذلك".

أما محمد التونجي فيعرف التحقيق:"التحقيق: إخراج الكتاب بالشكل الذي يسعى إليه المؤلف، ويخرجه كما لو كان حيّا، بتقديم النص مقروءا ومشكولا وموثقا، وإثبات صحة النص وعنوانه لمؤلفه بدليل علمي قاطع، والسهر على النص سهرا كليا لتثبيت ما في النص من كلام وشواهد وأعلام مع العناية الدقيقة بضبط الكلمات التي تحتمل أكثر من قراءة، فهو إذا عملية إحياء نص قديم وعرضه عرضا علميا دقيقا، وهو الأصل لأن النص أمانة مقدسة في رقبة من يتعهد إخراج النص من مكامنه".

يقول الجاحظ في كتابه الحيوان: إذا نسخ الكتاب مرة أو مرتان فسيصبح كتابا آخر. من هنا ندرك أهمية التحقيق وخطورته في آن..ودور النساخة وخطورتها، فقد أجرم كثير من النساخ في حق كثير من النصوص العلمية، لذلك قالوا قديما"النَّسَّاخ مسّاخ" -إلا ما رحم ربي- فيما يخص بالتثبت من النصوص.

2- النص:

النصوص جمع نص، وله معان في اللغة، معظمها يرجع إلى ظهور الشيء، ووضوحه والارتفاع به إلى غايته، ومنه قول الراوي في الحديث، في وصف سير النبي عليه الصلاة والسلام حين دفع من عرفات"سار العَنَقَ، فإذا وجد فجوة نصّ". (صحيح البخاري مع فتح الباري، العنق: ضرب من السير سريع)

ونص القرآن والسنة، هو اللفظ الوارد في القرآن أوالسنة، المستدل به على حكم الأشياء، ومنه قولهم: "الخواتم بالفصوص، والأحكام بالنصوص". (أساس البلاغة،ص" 342)

وقد يتوسع فيه، فيجعل بمعنى مطلق الدليل، فيشمل أقوال الفقهاء الاجتهادية، فتراهم يقولون: نص مالك على كذا، ونص الشافعي على كذا.

والمراد بالنصوص في باب التحقيق: أقوال المؤلف الأصلية، لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقات. أو ما يكتبه الناسخ أوصاحب التمليك من حواشي وتعليقات على النسخة المخطوطة.

حيث إنه في مجال التحقيق قد نقف أمام نص متعدد، أو مترابط ، أو ما يسميه حسام الخطيب بـ النص المفرّع Hyprtext :

- نص مؤلف المخطوط: النص الإبداعي الأول أو (المتن)
- نص الشـــروح: النص الذي أبدعه من تعهد نص المؤلف الأول (المتن) بالتفســـير، أي نص مفسر للنص الأول.
- نص الحواشي: الحاشية أو الشرح الوجيز على نص مشروح سابقا

(وهذه النصوص الثلاثة المتقدمة أساسية، وهي معنية بالتحقيق والإخراج)

- نص التعليقات والتذييلات: نصـوص يبدعها بعض العلماء أو القراء الذين تعهدوا النص الأول بـالقراءة، فـأخرجوا منـه بعض الفوائـد والنكـت والتعليقـات على هـامش النص الأصـــلي. (معلومات وفوئد إضافية)
- نص التمليكات Ex-libris: أو علامات التملك Ex-libris، تتمظهر علامات التملك في شكل هامش نصـــي يشـير إلى ملكية المخطوط لشـخص بعينه، وتعني تملُّك النسـخة، وكان بعض النســـاخ يدونون أســماءهم على المخطوطات، حيث يكتب الاســم والتاريخ والمدينة، وتكون مصـحوبة بختم يوضـع في صـفحة العنوان على شـكل دائري أو مربع أو مسـتطيل صـغير الحجم.
- نص حرد المتن Colophon: يقصد به: تقييد الفراغ، ولفظة حرد نبطية الأصل معربة تقول: حردناه تحريدا، وكأن حرد المتن بمثابة حزام واق جعل في آخر الأصل ليحميه ويشعر بحدوده ونهايته، وقيل إنه من الآرامية. وهو الهامش الموجود في آخر المخطوط والمتعلق بالنّسَّاخة وبياناتِها، ويذهب عصام الشنطي إلى أن حرد المتن هو تاريخ النسخ من النسخة بعد تمام مادة المؤلف.

(هذه النصوص يشير إليها المحقق ويبين وظيفتها وطبيعتها في النص المراد تحقيقه)

ويجب التفريق بين النهاية التي يضعها المؤلف لكتابه، والنهاية التي يضيفها النساخ على نفس الكتاب، حيث تشتمل الأولى في الغالب على تاريخ الفراغ من تصنيف الكتاب، في حين أن الثانية تشتمل على تاريخ الفراغ من نسخه.

ملاحظة: فمثل هذه النصـــوص المتعددة أو المتفرعة تجعلنا نعتقد بأن النص كائنا حيا ذا دلالات، في حالة نمو وتطور، وليس نصـا جامدا أدى وظيفته وانتهى. "فالنص ملك عام قابل لمحاولات لا حصـر لها من التفسير والتأويل والمراجعة وإعادة الفهم والدعم من خلال الحواشـي والفوائد والفروع، فهو عملية تكامل تشبه كرة الثلج..".

ويلاحظ دائما في نصوصنا التراثية أن الشروح والحواشي والإضافات والتعليقات تكاد تتراوح في الغالب الأعم من مسـتوى واحد إلى أربع مسـتويات، فإذا أضـفنا إليها النص الأصـلي، يكون في الصـفحة الواحدة خمسة مستويات -نصوص- على النحو التالي:

- المستوى الأول: النص الأصلي
- المستوى الثاني: أي النص مع شرحه، قد يكون النص الأصلي منفصلا، وقد يكون مندمجا في ثنايا الشـرح، وتصـعب مراجعته. يطلق عليه في علم التحقيق "الشـرح العضـوي" الشـرح الممزوج بالمتن إلى درجة اعتباره جزءا منه.[1]
- المستوى الثالث: أي النص الأصلي مع شرحين، أو شرح وحاشية.
- المستوى الرابع: أي النص الأصلي، مع شرح وحاشيتين في الغالب، وقد يكون هناك شرحان وحاشية واحدة.

[1] أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص: 109.

وقد تكون هناك مستويات عديدة أكثر تعقيدا..مما يدل على الصبر المجهد الذي بذله علماؤنا في سبيل صيانة هذا التراث وحفظه، وإخراجه غضا طريا للأجيال اللاحقة.
أمثلة:

مثال من المستوى الثالث:

-نص المتن (نص المؤلف): متن منهاج الطالبين للإمام النووي (يقع في رأس الصفحة)
-نص الشرح: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ محمد الخطيب الشربيني (يقع في صدر الصفحة) وهو شرح مفصل يفوق النص الأصلي، ويحتوي الشرح على فائدة في كل صفحة تقريبا (من وضع قارئ انتهت إليه هذه المخطوطة)
-نص تعليقات: للشيخ الغمري الشافعي، (يقع في ذيل الصفحة).

وتحقيق النصوص في أسمى مراميه هو إحياء التراث وإعادة بعثه من جديد.

3- التراث:

التراث ما تركه السابق للاحق، وصار إلى الحي من الميت من مال وغيره، قال تعالى: (وتَأكلون التراث أكلا لمًّا) [الفجر/19].

المراد بالتراث في باب التحقيق: كل ما صار إلينا مخطوطا، مما تركه السابقون في مختلف العلوم والفنون، يستوي في ذلك قديم العهد، وحديثه، ولهذا فالتراث المخطوط ليس محددا بتاريخ معين.

4- ما هي المخطوطات؟:

يعرف عبد الستار الحلوجي المخطوط بقوله: "المخطوط في اللغة هو كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتابا أو وثيقة أو رسالة".

"المخطوطات كناية عن كتب أو رسائل لم تطبع بعد، ولا تزال بخط مؤلفيها الأصليين أو النسّاخ".

ملاحظة: إطلاق مصطلح "المخطوط" للدلالة على الكتاب عند أهل التحقيق لا يستقيم؛ إذ قد يشير إلى كل ما خُطّ ورسم باليد، كشواهد القبور والكتابات على البنايات الأثرية، والكتابة على الصكوك النقدية..لذلك يحسن بنا أن نقول: "الكتاب المخطوط".

وكلمة "مخطوط" التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بالخط اليدوي والتي خلفها القدماء، هي ترجمة لكلمة manuscrit الفرنسية والتي لم تستخدم بهذا المعنى إلا في عام 1594م في مقابل كلمة مطبوع، على الرغم من ورود هذا اللفظ في بعض المعاجم القديمة حيث ورد أول ذكر له عند الزمخشري (ت538ه/1143م) في كتابه أساس البلاغة، يقول في مادة خطط: "خطَّ الكتاب يَخُطُّه..وكتاب مخطوط" ثم تسكت المعاجم عن ذكر هذا اللفظ حتى يقابلنا مرة أخرى عند الزبيدي (ت 1205ه/1790م) يقول في نفس المادة: "كتاب مخطوط أي مكتوب فيه".

لذلك فإن القدماء أشاروا إلى الكتب التي نقلوا عنها أو استفادوا منها باسم الكتاب أو السَّفر..

وحينما نقول مخطوط عربي، فينبغي أن ننتبه إلى أن العروبة هنا عروبة لسان وليست عروبة جنس أو مكان، فكل كتاب كتب باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، يعد كتابا عربيا بغض النظر عن العرق والمكان.

ملاحظة: هنا ينبغي أن نفرق بين المخطوط العربي المنسوخ بالحرف العربي، والمخطوط غير العربي المنسوخ بالحرف العربي، كمخطوطات الدول الإسلامية، غير العربية، كلغات إفريقيا ، أو اللغة الفارسية والأفغانية والأوردية..

ولفظ المخطوط يقابل المطبوع، ومعنى هذا أن عصر المخطوطات هو عصر ما قبل الطباعة، سواء كانت طباعة حجرية، أو طباعة حروف متفرقة التي ابتدعها جوتنبرج بألمانيا في منتصف القرن15م وانتقلت إلى العالم العربي بعد ذلك بثلاثة قرون أو يزيد.

ولكننا ينبغي ألا نتصور أن ظهور الطباعة في أمة من الأمم يعني نهاية حاسمة لعصر المخطوط، فالتحولات الحضارية الكبرى لا تتم في يوم وليلة.

عَلَيكَ بالحفظِ بعد الجمعِ في كُتُب فإنَّ للكتب آفَاتٌ تُفرِّقُهَا

الماءُ يُغرقُها والنَّار تُحرقُها والفأرُ يُخرقُها واللصُّ يَسرقُها

5- ظهور الكتابات العربية في "علم المخطوط وقواعد تحقيق النصوص":

لقد حاول الأساتذة الأفاضل الذين كتبوا في هذا الميدان أن يضعوا مجموعة من الرسائل والكتب في إيضاح معالم فن التحقيق، وكانت لهم اجتهاداتهم، من ذلك كتاب د. عبد السلام هارون "تحقيق النصوص ونشرها"، ويعد هارون أول عربي ينشر قواعد تحقيق المخطوطات في كتيب علمي عام 1954م، وطبع بعد ذلك عدة طبعات، وتلاه د. صلاح الدين المنجد بنشره قواعد تحقيق المخطوطات" عام 1955م، وقد لقي كتيبه شهرة واسعة (وهو في حدود عشرين صفحة)، طبع طبعات عدة كان آخرها عام 1970م، وخصصت د. عائشة عبد الرحمن في المبحث الثالث من كتابها "مقدمة في المنهج" للحديث عن قواعد تحقيق النصوص، وأيضا خصص شوقي ضيف الفصل الثالث من كتابه "البحث الأدبي" للحديث عن تحقيق المخطوطات.

وقد كان قبلهم محمد مندور من أوائل العرب الذين نبهوا إلى أهمية المخطوطات في مقالين نشرهما في مجلة الثقافة المصرية عام 1944م. وسبق المجمع العلمي بدمشق سائر المؤسسات الثقافية العربية بنشره قواعد خاصة بالتحقيق، اشتغل بها عدد من أعضاء المجمع العلمي وطبعت في مقدمة "تاريخ مدينة دمشق" عام 1951م.

(م2) مدخل تاريخي

1- الجذور الأولى لتحقيق النصوص عند المسلمين:
ج- معارضة النبي عليه الصلاة والسلام القرآن مع جبريل عليه السلام
ح- معارضة زيد بن ثابت ما كان يكتبه من الوحي مع النبي عليه الصلاة والسلام
خ- جمع القرآن على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أول نص عربي مكتوب)
د- جمع القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه

1- الجذور الأولى لتحقيق النصوص عند المسلمين:

إن أول ما ينبهنا في أعمال المسلمين الأولى إلى مبدأ التحقيق متمثلا في معارضة النصوص لتوثيقها وتصحيحها أمور، منها:

أولا: معارضة[1] النبي عليه الصلاة والسلام القرآن مع جبريل عليه السلام في رمضان من كل عام: وذلك منذ بدأ نزول القرآن إلى أن توفي الرسول عليه الصلاة والسلام، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.." .. وفي رواية أخرى للبخاري: "فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه".

ومعارضة النبي عليه الصلاة والسلام، وإن لم يتمحص فيها معنى التحقيق، بمفهومه العام، لأن الباري عز وجل خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم، بقوله: (سنقرئك فلا تنسى) [الأعلى/ 6] فإنها تركت منهجا ومثالا يحتذى في الأخذ بمنهج التحقيق (المعارضة والمقابلة بين النسخ).

ثانيا: معارضة زيد بن ثابت ما كان يكتبه من الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد كتابته: قال القاضي عياض: "وقد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يملي عليّ، فإذا فرغت، قال: "اقرأه"، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه".

ثالثا: جمع القرآن (أول نص عربي إسلامي مكتوب): لم يجمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف، وإنما كان مكتوبا على أشياء مختلفة من الحجارة، وجريد النخل والرقاع والأكتاف، فلما عزم الصحابة على جمعه في عهد أبي بكر الصديق، عهدوا بالأمر إلى رجل توفرت فيه أهم الصفات المطلوبة لمن يروم تصحيح نص وتوثيقه، وهي: الأمانة والدُّربة، والقدرة على الصبر، والضمير المتحرّج، كل هذه الكلمات تنطق بها كلمات أبي بكر مخاطبا زيدا: "إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه".

ناهيك أن زيدا كان من علماء الصحابة، وممن تدور عليهم الفتوى، وكان قد شهد العرضة الأخيرة، فكان من أدرى الناس بترتيب القرآن، وبالمنسوخ منه، وبقي هذا النص محفوظا في بيت الصدّيق حياتَهُ، ثم عند خليفته الفاروق إلى أن مات، ثم تحول إلى بيت النبوة عند حفصة أم المؤمنين، لذلك نستطيع أن نقول: إن القرآن الكريم أول نص إسلامي مكتوب وصل إلينا.

رابعا: مصحف عثمان رضي الله عنه: تعددت مصاحف المسلمين بعد ذلك حتى جمعهم عثمان (ض)على مصحف واحد، بعث به إلى كل أفق بصورة منه، ويمكن أن يستلهم من عملهم علماء التحقيق معاني وعبر، فقد أحضر عثمان (ض) المصحف الإمام (النسخة الأم بتعبير أهل التحقيق) من حفصة، وعَهِد بالأمر إلى جماعة من ذوي الحفظ والعلم والفطنة والفصاحة من قبائل العرب، كان على رأس هؤلاء

زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، أما زيد فأهّله للأمر ما سبق من صفاته، ولأن المصحف الأصل مكتوب بخط يده، وأما سعيد بن العاص، فلأنه كان أفصح الناس. وكتب بالخط الحجازي.

وكان من المنهج الذي اختطوه إذا اختلفوا في شـــيء أن يكتبوه بلســـان قريش، فإنما نزل القرآن بلسانهم، وبذلك ضمنوا أفصح اللهجات، وأن يكتبوا ما اختلفوا فيه على العرضة الأخيرة، وهذا يضاهي ما يعرف الآن في فن التحقيق بتقديم الإملاءة الأخيرة، إذا كان لأصل الكتاب أكثر من إبرازة.

ولما تم لهم ذلك وزع عثمان هذه النشرة على الأمصار الإسلامية، وألزم الناس بها، وأمر بترك ما سواها، لأنها صارت حجة بما حظيت به من عناية وتوثيق.

(م3) حركة إحياء الكتب وتحقيقها في مصر

بدأت حركة إحياء الكتب ونشـــرها في مصـــر مع إنشـــاء المطبعة الأميرية، مطبعة بولاق عام 1821م، ولكن مع نهاية القرن 19م نشطت هذه الحركة، وتم إخراج العديد من الكتب؛ حيث طبعت ببولاق كثير من كتب الأمهات، مثل: صـــحيح البخاري وشـــرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر، والصـــحاح للجوهري، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ولسان العرب، والتفسير الكبير للرازي، والمخصص لابن سيدة..

وكان يشـــرف على إخراج الكتب وتصـــحيحها في مطبعة بولاق في ذلك الوقت، ثلة من العلماء المتقنين، منهم الشـيخ نصـر الهوريني (ت1874م) شـارح نص ديباجة القاموس المحيط للفيروز آبادي، والشيخ محمد محمود بن أحمد التركزي الشنقيطي (ت 1904م) علامة عصره في اللغة والأدب، وقد أسند إليه معالجة نص كتاب المخصص ونص كتاب الأغاني..

ومنهم الشـيخ محمد الحسـيني الذي أشـرف على تحقيق لسـان العرب..وكان هذا العمل يتمثل في تقويم النص والاطمئنان إلى صحته ومقابلته على بعض أصوله، دون وصف تلك الأصول، أو الإشارة إلى أسـمائها، ومكان وجودها في الحواشـي والمقدمات، ولم تظهر كلمة "تحقيق" إلا على يد الجيل الذي كان يتقدمه أحمد زكي باشا (ت1934م) الذي قام بتحقيق كتاب "الأصنام" و"أنساب الخيل" لابن الكلبي طبعة بولاق عام 1914م وكتاب التاج للجاحظ.

ويعد أحمد زكي رائد فن التحقيق الحديث، حيث بدأ التحقيق معه في المشـــرق يأخذ نهجا جديدا، على النمط الذي عرّفه به المتقنون من المستشرقين، حيث يشمل مقدمة لدراسة الكتاب ووصف مخطوطاته وصـــفا يبين قيمة كل منها، والتعريف بمؤلفه، وآثاره العلمية، كما أنه يشـــتمل على تعليقات في حواشـــي الكتب، تهتم بإثبات الفروق بين النسخ، والرموز إلى الأصول التي وردت فيها، هذا بالإضافة إلى التعليقات اللغوية، والتصـــحيحية النافعة على متن الكتاب المخطوط، كما أن وضـــع الفهارس الجيدة التي تســـهل الاستفادة من الكتاب صار من أهم أعمال التحقيق.

ثم ظهر في مصـر جيل آخر، جيل الشـيخ أحمد شـاكر ومحب الدين الخطيب ومصـطفى السـقا، وانتهى بعبد الســـلام هارون الذي أثرى المكتبة العربية بما قدمه من الكتب المحققة تحقيقا جيدا، أفادت فن التحقيق وحددت مناهجه ومعالمه، فبدأت الأبحاث والمقالات، ثم الكتب تخرج تباعا مقننة فن التحقيق ومسجلة لتجارب المحققين..ومنهم أيضا صلاح الدين المنجد ورمضان عبد التواب..

2- جهود وإسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي:

يجب التســـليم أولا بأن العرب قد ســـبقوا علماء أروبا إلى الاهتداء للقواعد التي يقابلون بها بين النصـوص، والوصـول بتلك النصـوص إلى الدرجة القصـوى من الصـحة (جهود علماء الحديث/ الجرح والتعديل) ، وإن ماصنعه الحافظ اليونيني (701ه) في تحقيق روايات صحيح البخاري (ت256ه) وإخراج النص الذي بين يدينا الآن من هذا الكتاب ليعدّ مفخرة لعلمائنا القدامى في التحقيق والضـــبط وتحري الصواب، بعدما كانت النصوص المتداولة من صحيح البخاري مختلفة ومعقدة للغاية.

لقد اعتنى علماء الغرب بنشـر نصـوص الآداب القديمة؛ اليونانية واللاتينية، منذ (ق15م) ، حتى انتهى بهم الأمر إلى وضع قواعد وأصول علمية لنقد النصوص في خلال القرن 19م، وقد اتجهت الأنظار إلى هذا العلم وتعززت منذ وجدت المطبعة في العالم.

وقد وضع المستشرقون ضوابط علمية لنقد النصوص ونشرها، سمحت لهم بإخراج طبعات متقنة ومحققة تحقيقا علميا، يتسـم بالدقة والأمانة، حيث وضـعوا أصـول النصـوص كما هي بين يدي القارئ، وأوقفوه على الفروق بين النسخ، مع العناية بضبط الكلمات، ووضع الفهارس، ووصف الأصول وصفا جيدا، فنشروا على هذا المنهاج عديد من أمهات كتب اللغة والأدب والعلوم الإسلامية..

لكن ليس كل ما أخرجه المستشرقون هو من التحقيق الجيد، بل اجتمع في عملهم الغث والسمين.

وفيما يلي نماذج من جهود المستشرقين في مجال علم التحقيق:

يعد المستشرق الألماني (برجستراسر) أول من ألف وحاضر في هذا الموضوع البكر، فقد ألقى محاضرات قيمة في جامعة القاهرة عام 1931م ثم طبعت هذه المحاضرات بالعربية عام 1969م بعنوان "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" في مائة صفحة.

وأصدر بلاشير وسوفاجيه كتيبا بعنوان "قواعد نشر النصوص وترجمتها" باللغة الفرنسية عام 1954م ثم أعيد طبعه عام 1953م.

ومن النماذج الطيبة في نشر أمهات الكتب العربية من طرف المستشرقين:

- وليام رايت w.Right حيث نشر "الكامل للمبرد" نشرة متقنة مزودة بالفهارس، طبع في ليبزج سنة 1864م.
- هارتفيج دير نبورج H. Derenbourg الفرنسي الذي نشر كتاب سيبويه في باريس في مجلدين، ظهر أولهما سنة 1881م والثاني عام 1889م.
- بيفان الهولندي Bevan الذي نشر نقائض جرير والفرزدق، نشرة علمية ممتازة مزودة بالفهارس والتعليقات.
- فلوجل حقق كتاب الفهرست لابن النديم سنة 1871.

مجالات علم المخطوط العربي

لا شك أن الكتاب المخطوط يجمع في طياته بين جانبين أساسيين من الثقافة: الثقافة المادية ممثلة في الكيان المادي للمخطوط، الذي يعتبر الضلع الأول من أضلاع علم المخطوطات، وهو يتمثل اختصارا في (مادة يكتب عليها، ومادة يكتب بها، وأداة تستخدم في الكتابة، وخط يختار للكتابة..)، وثقافة لا مادية ممثلة في نص المخطوط وما ينطوي عليه من قيم علمية وفنية، ومن هنا تتقاطع مجموعة من العلوم لدراسة المخطوط دراسة علمية متكاملة.

ومن هنا يحق لنا أن نتساءل: ماهي مجالات دراسة المخطوط العربي؟ أو بعبارة أخرى: ما حدود علم المخطوط العربي؟

في سبيل النهوض بتراثنا العربي المخطوط ودراسته دراسة متكاملة من جميع النواحي، وإخراج النص إخراجا صحيحا؛ مقروءا موثقا سليما من الشوائب، نرى أنه من الضروري أن تتظافر أربعة حقول معرفية وتتعاون في هذا السياق، فعملية التحقيق ليست بحثا تخصصيا؛ أي يجري في تخصص واحد، بل هي بحث متداخل التخصصات (Interdisciplinaire)؛ أي بحث يساهم فيه أكثر من تخصص بصفة مشتركة حول نفس الموضوع وتتمثل هذه المجالات الأربعة فيما يلي:

أ- الجانب الفهرسي (الببليوغرافي): وما يتعلق به من ثقافة عميقة في علم المكتبات، بهدف استقراء ببليوغرافيا المكتبات الخاصة والعامة، لتحديد أماكن وصفة النسخ المخطوطة وقيمتها..

إن بعض هذه الفهارس قد يكون متقنا، مما يعطي وصفا صحيحا لأصل المخطوط من حيث قيمته وموضوعه ونوع خطه وتاريخه واسم الناسخ، وقد تنقل فقرات منه، ومثل هذه المعلومات الفهرسية مهمة للمحقق في المرحلة الأولى من اختياره لموضوع التحقيق، لأن من شأنها أن تجعله يمضي في اختياره أو ينصرف عنه، كما أنها توفر له جهدا ووقتا، فإذا وجد في وصف المخطوط أن أوراقه بها تلف أو خطه مطموس أو نسخته منقولة من نسخة أخرى قد تحصل هو عليها وفّر على نفسه مؤونة البحث في طلبه.

ب- الجانب الكوديكولوجي: وما يتعلق به من معرفة في علم الآثار والتحليل الكيميائي والفيزيائي للمخطوط والمداد (حوامل الكتابة)، والفليغرانولوجيا (Filigranologie)،[1] وكل ما يتصل بدراسة الكيان المادي للمخطوط (الحبر، الورق، الخط، الزخرفة، التجليد، التمليكات، الحواشي..)

ت- الجانب الباليوغرافي: وما يتعلق به من علوم الخط وتطور أشكال الكتابة وأنواعها وأوصافها ورموزها..

ث- جانب الدراسة والتحقيق: إثبات صحة النص وعنوانه لمؤلفه بأدلة علمية قاطعة، ودراسة حياة المؤلف وعصره وأثره، وتحقيق المتن وإخراجه مضبوطا مقروءا، حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه الأصلي كما وكيفا،

[1] الفليغرانولوجيا (Filigranologie): علم يبحث في دراسة علامات الكاغد، وقد ظهر أولا في إيطاليا. أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ه ص: 265.

(م 4) الجانب الفهرسي (الببليوغرافي) وأهميته في عملية التحقيق:

أ- مفهوم الفهارس وأنواعها:

يعد الجانب الفهرسي عنصرا مهما من عناصر علم تحقيق النصوص، فالبحث الببليوغرافي لاستقراء المخطوطات في مظانها يعد المرحلة الأولى في عملية التحقيق، سواء بالنسبة للباحث الكوديكولوجي الذي يشتغل على المخطوط بوصفه قطعة مادية، أو بالنسبة للمحقق الذي يشتغل على إخراج النص ونقد محتواه وإبراز قيمته العلمية، فالبحث الفهرسي هو المفتاح الأول للمحقق للتواصل مع المخطوط.

ولفظ الفهرسة فارسية معرّبة، كما يفيدنا بذلك أئمة الصناعة المعجمية العربية، ويعرف الفيروز آبادي لفظة الفهرس بأنه: الكتاب الذي تُجمع فيه الكتب، معرّب فهرست. ولم يكن ابن النديم هو أول من استخدم الفهرست للدلالة على ما يطلق عليه الآن الببليوغرافيا، فقد استخدم اللفظ قبله بقرنين من الزمان بدليل أنه ينقل عن فهرست كتب جابر بن حيان، وفهرست كتب الرازي..

وظيفة الفهرس تقديم ما تقتنيه المكتبة من أوعية المعلومات إلى الباحثين.

ومن هنا؛حيث يسعى الباحث المحقق في البداية لاستقراء ببليوغرافيا المكتبات والكتب الفهرسية – الخاصة والعامة- في التراث العربي القديم والحديث التي تعتبر مصادر لا غنى عنها لمعرفة خارطة التراث العربي المخطوط، من ذلك على سبيل الذكر لا الحصر:

- الفهرست لابن النديم (ق4ه)،
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ق11ه) ،
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (ق20م)،
- تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين..

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى: معجم المخطوطات المطبوعة لصلاح الدين المنجد (1970/1954)، ومجلة معهد المخطوطات العربية لجامعة الدول العربية، ومجلة المجمع العلمي بدمشق، والقاهرة..

- الفهارس العامة (فهارس المكتبات الوطنية؛ العربية والأجنبية: المكتبة الوطنية بالجزائر، دار الكتب بالقاهرة، المكتبة الوطنية بالمغرب، خزانة القرويين بفاس، المكتبة الظاهرية بدمشق، مكتبة جامع الزيتونة بتونس، مكتبة جامع الأزهر بالقاهرة، المكتبة الوطنية بباريس، المكتبة الوطنية ببرلين، مكتبة الأسكوريال بمدريد، المكتبة العامة بإسطنبول..
- الفهارس الخاصة: وهي أنواع، مثل: فهارس الأشخاص، (فهرس مكتبة آل يدّر، مكتبة الشيخ البكري، مكتبة القطب أطفيش..) والتي قامت بها جمعية التراث بالقرارة بوادي ميزاب وفهارس الزوايا والمساجد العتيقة وفهارس العائلات العلمية.

فهارس الأشخاص: مثل كتب البرامج والشيوخ، التي اشتهرت بخاصة في الأندلس، والبرنامج أو الفهرس في الأغلب كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرا عنوان الكتاب واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأه عليه، أو تحمله عنه، وربما ذكر المكان الذي كان موضعا للدرس، والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أو ختمها.

ويمكننا أن نستشهد في هذا السياق بـ مخطوط كعبة الطائفين، لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني هو أقرب إلى هذا النوع من المصنفات، فهو يمثل بحق فهرسا متنوعا لأهم الكتب والمقررات التي كانت تدرس في القرن 11ه/17م في الزوايا ودور العلم ومجالس الإقراء الكثيرة في تلمسان ومستغانم، وعدد من المناطق الجزائرية.

وأهمية مثل هذه السماعات والإجازات لا تخفى على أحد، فهي كما يقول أيمن فؤاد سيد أنموذج للتثبت العلمي الذي كان يتبعه العلماء، (أي شدّة العناية بالإسناد، ونحن أمة السند، كما قال الشافعي) ووثائق

صحيحة تدل على ثقافة العلماء في الماضي وما قرأوه أو سمعوه من كتب، كما أنها مصادر للتراجم لأنها تتضمن أسماء أعلام كثيرين، قد لا نجد لهم ذكرا في كتب التراجم المعروفة، وهي أيضا وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية، وحركة تنقل الأفراد.

- ب- أهمية البحث الفهرسي في سلامة عملية التحقيق:

إن بعض هذه الفهارس التي ذكرناها قبل قليل قد تكون متقنة، مما يعطي وصفا صحيحا لأصل المخطوط من حيث قيمته وموضوعه ونوع خطه وتاريخه واسم الناسخ، وقد تنقل فقرات منه، ومثل هذه المعلومات الفهرسية مهمة للمحقق في المرحلة الأولى من اختياره لموضوع التحقيق، لأن من شأنها أن تجعله يمضي في اختياره أو ينصرف عنه، كما أنها توفر له جهدا ووقتا، فإذا وجد في وصف المخطوط أن أوراقه بها تلف أو خطه مطموس أو نسخته منقولة من نسخة أخرى قد تحصل هو عليها وفّر على نفسه مؤونة البحث في طلبه، وفي كل الحالات يجب على المحقق أن يعود إليها ليتأكد من ذلك بنفسه ليطمئن قلبه.

على الرغم من تفاوت بيانات الوصف الببليوغرافي من فهرس لآخر، فهناك من تكون أشد تنوعا وتفصيلا، إذ قد تغطي مجالات متعددة كالجانب الكوديكولوجي والجانب الباليوغرافي والجانب التحقيقي، فتورد وصفا للخطوط والأحبار والألوان وفنون الزخرفة والتذهيب والتجليد، وتذكر بداية المخطوط ونهايته، وتعرف بمختلف صور التوثيق التي يحملها كالتملكات والسماعات والإجازات والمقابلات، وغيرها من البيانات التي يلزم ذكرها للتفريق بين نسخة واخرى..

إن لهذه البيانات أهميتها في تحديد تاريخ نسخ المخطوط في حالة ما لم يكن مُؤرَّخا، أو في حالة ما إذا فقدت الورقة الأخيرة من المخطوط، والتي تحمل ما يسمى بالحرد، وهو الهامش الموجود في آخر المخطوط والمتعلق بالنّسَّاخة وبياناتها، والتأريخ غالبا ما يرتبط بذكر مكان النسخ، وتحديد عمرها، قِدَماً وحداثة. وهذه مسألة مهمة وخطيرة بالنسبة للمحقق.

السؤال الذي يتبادر إلى ذهننا هاهنا هو الآتي: إلى أي مدى تمت فهرسة تراثنا المخطوط؟ لا شك أننا لا نحتاج إلى كبير عناء لنقول بأنه لا يزال ينتظرنا عمل كبير في سبيل فهرسة تراثنا المخطوط أولا، ثم رقمنته ثانيا، فهناك نصيب وافر من مخطوطاتنا لا تزال غير مفهرسة، وغير معروفة للباحثين، وغير متاحة للقراء بالمرة، ولا يعلم عنها شيء كثير، لأنها لا تزال حبيسة أدراج المكتبات الخاصة لدى العائلات العلمية، أو لدى بعض الأشخاص المغمورين، أو نهب أثناء الاستعمار الأوروبي، ومنه من سرق من طرف المستشرقين، وأصبحنا لا نعرف له أثرا، سوى بعض المعلومات المتفرقة هنا وهناك والتي تفيد بأن المخطوط الفلاني تملكه المستشرق الفلاني، أوما وقع في أيدي بعض تجار تهريب المخطوطات والآثار.

لهذا نقول إن هذا الجانب لا يزال خصبا، وينبغي أن نولي له ما يستحق من الاهتمام، وذلك بتكوين الباحثين المختصين في البحث الببليوغرافي الميداني، لأنها تعتبر الخطوة الأولى في طريق استقراء تراثنا المخطوط وفهرسته، تتلوها خطوات أخرى في الجرد والتصنيف تصنيفا علميا ثم الرقمنة فالنشر، على غرار ما قام ويقوم به الباحثون الجزائريون، كالعمل الميداني الذي قام به مختار حساني وبشار قويدر سنة 1999 والذي كان محاولة في سبيل فهرسة تراثنا المخطوط في منطقة أدرار، على تواضعه، وعلى الهنات المسجلة عليه، بسبب التسرع.

في هذا السياق يمكننا التنويه بالجهد المحمود الذي اضطلع به الأستاذ الباحث عبد الكريم عوفي في سبيل إحصاء مراكز المخطوطات في الجزائر وتحديد أماكنها ومقتنياتها من التراث الجزائري المخطوط. وهو عمل ميداني مهم وضروري، قبل القيام بأي مشروع يستهدف الجانب الفهرسي.

وننوه أيضا بالعمل المتميز الذي قام به الصديق الأستاذ الباحث أحمد أبا الصافي جعفري، الموسوم: "المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية" الصادر بمناسبة (قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015) والذي استقرأ فيه الباحث بعض فهارس مخطوطاتنا المنتشرة في مالي، موريتانيا، المغرب، النيجر، نيجيريا، غانا، السينغال..وقد أحصى فيها الباحث أيضا خزائن منطقة توات وقورارة وتيدكلت بأدرار من خلال دراسته الميدانية، والتي تجاوزت الخمسين خزانة ومكتبة خاصة.

تراثنا المخطوط صنفان:

قسم مفهرس، لا نكاد نعرف قدره بالنسبة لما هو غير مفهرس، وهذا الأخير صنفان أيضا:
صنف رقمي، ومتاح على الشابكة لعموم الباحثين
صنف غير رقمي: متاح فقط في المكتبات العامة والخاصة ورقيا، ولا تستفيد منه إلا حضوريا.

والقسم غير المفهرس: لا يزال حبيس أدراج العائلات ومخبوء في دورها، ولا نعرف له فصلا ولا أصلا، ولا نكاد نعرف مواطن وجوده في أرجاء المعمورة، وإن قاسمة الظهر بالنسبة للمحقق هو إمكانية وجود نسخ للمخطوط المدروس غير مفهرسة، فقد يحدث ان يكتشف نسخا مهمة بعد إتمامه للتحقيق، فنحن أمة نحتفظ من ورائنا قرابة الأربعة عشر قرنا من التراث المخطوط.

يقول أحمد بنبين في هذا الصدد: إن ما جمع حتى الآن وفهرس من المخطوطات العربية يقدره المختصون بثلاثة ملايين، وإن ما هو غير مفهرس وما لم يكتشف بعد؛ بل لا يزال رهين محابس المكتبات العامة والخاصة يفوق ما هو معروف ومفهرس، ولا أدل على ذلك مما يكتشف من مخطوطات، وما يصدر من فهارس المخطوطات من حين لآخر.

ونجد من المناسب هاهنا الدعوة إلى إنشاء منصات رقمية خاصة بكل الدول العربية والإسلامية، فيها إحصاء ومسح لكل ما تشتمل عليه كل دولة على حدا من تراث مخطوط، وتصنيفه على حسب الزمان أو المكان أو العلوم والفنون.. وإتاحته للباحثين للاستفادة منه، مع ضبطها ضبطا صحيحا.

ويندرج تأسيس معهد المخطوطات العربية، التابع لجامعة الدول العربية في هذا المسعى المنشود، الذي نثمنه، ونتمنى أن يضطلع بدوره كاملا، وهو الذي أنيطت به عند تأسيسه سنة 1946 تحقيق الأهداف التالية:

- البحث عن أماكن المخطوطات في أنحاء العالم؛
- تصوير نفائس المخطوطات، وإتاحتها للباحثين والمحققين؛
- فهرسة المخطوطات بالمكتبات العامة والخاصة، ونشرها؛
- أن يكون مركزا علميا للباحثين عن المخطوطات؛
- التعريف بالتراث العربي وقيمته؛
- نشر أهم الأعمال المحققة.

ونصيب كبير من فهارس المكتبات العربية يحتاج إلى إعادة نظر في فهرستها، لأنها غير دقيقة، ومراجعة المعلومات المدونة حولها، وتصحيح ما فيها من أغاليط حولها، سواء ما تعلق بالمؤلف أو الناسخ أو الباب الذي تندرج تحتها هذه المخطوطات، أو تواريخها.. وهناك أمثلة كثيرة على هذه الجوانب، بعضها وقفنا عليها أثناء ممارستنا الفعلية لعملية التحقيق، وبعضها أوقفنا عليها أساتذتنا في هذا الفن.

فالمتأمل في البيانات الببليوغرافية التي تقدمها بعض فهارس المخطوطات العربية، يقف على تباين واضح في ذلك، حجما ونوعا وترتيبا، مما يحتم على المكتبيين توحيد أنماط عرض هذه البيانات، وقد ذكر عبد الستار الحلوجي أنماطا من هذه البطاقات الفهرسية لبعض المكتبات العربية، والذي نراه أنه ينبغي أن تشتمل هذه البيانات على معلومات كوديكولوجية وباليوغرافية وأخرى تاريخية ونصية.

يدخل تحت البيانات الفهرسية الكوديكولوجية والباليوغرافية: الإشارة إلى بيانات التوريق، مثل: الوصف المادي للمخطوط (نوع الورق، تلويث أو ترميم أو خروم، ويدخل فيه وصف التجليد والزخرفة، وما يحمله المخطوط من سماعات وإجازات ومقابلات وتملكات وحواشي وإيضاحات..)، عدد الأوراق، المسطرة (متوسط عدد السطور في الصفحة)، نوع الخط ولون المداد..ويدخل تحت البيانات التاريخية النصية: الإشارة إلى العلم أو الفن الذي يندرج تحته المخطوط، وذكر اسم المؤلف بدءا باسم الكنية الأشهر، والعنوان ويشمل عناوين الشهرة أيضا، اسم الناسخ، مكان النسخ، تاريخ النسخ، وذكر الاستهلال (بداية النص ونهايته-حرد المتن-)..قد تتفاوت هذه البينات من فهرس لآخر سواء من حيث الترتيب أو من حيث التسمية..لكن تبقى هذه المعلومات ضرورية في كل عمل فهرسي.

وكمثال على المعلومات الفهرسية غير المضبوطة، ما صادفناه عند معاينتنا لمخطوط " كعبة الطائفين وبهجة العاكفين "(نسخة الرياض) فالبيانات المفتاحية الخاصة بفهرسته، التي وضعها القائمون على قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض ناقصة وغير مضبوطة، بسبب التسرع في الفهرسة وعدم التدقيق جيدا في الحواشي والتقييدات وإشارات التملك الموجودة في اللوحة الأولى من المخطوط، فتلك البيانات الفهرسية لم تنص على صاحب التملك ولا على اسم الناسخ، وقد تركت تلك البيانات فارغة، وقد تبين لنا من خلال المعاينة والفحص اسم الناسخ وصاحب التملك، والفن الذي يندرج تحت بابه المخطوط، كما سيأتي بيانه عند حديثنا عن تقييدات التملك من هذه الدراسة.

1- البيانات الفهرسية للمخطوط:

تبدأ البيانات الفهرسية للمخطوط بتحديد عنوان الكتاب واسم المؤلف، وتاريخ النسخ ومكانه إن علم، وعدد الأجزاء والأوراق، وما يميز النسخة من ملامح مادية كالزخارف.

وإلى جانب هذه البيانات الأساسية، يرى عبد الستار الحلوجي أن هناك بيانات إضافية ينبغي أن تتضمنها البطاقة الفهرسية للمخطوط ليسهل التمييز الحقيقي بين النسخ تمييزا قطعيا، من ذلك:

- تحديد نوع الخط والألوان المستخدمة في الكتابة،
- ذكر متوسط عدد السطور في المخطوط، وهو ما يعرف بالمسطرة،
- تحديد مساحة النص المكتوب في الصفحة ومساحة الهوامش الأربعة،
- وصف ما في النسخة من ألوان وزخرفة أو تذهيب ورسومات وأشكال،
- ذكر نص فاتحة المخطوط وخاتمته،
- بيان ما تحمله النسخة من تملكات وسماعات وإجازات مؤرخة أو غير مؤرخة،
- وصف الحالة المادية للمخطوط، والنص على أي نقص في أوراقه، بسبب الخروم أو الطمس أو البتر أو التمزق..

(م5) الجانب الكوديكولوجي Codicologie وأهميته في عملية التحقيق

يعتبر الكيان المادي للمخطوط من أهم جوانب علم المخطوط وأقربها لمفهومه وأكثرها لصـــوقا بالمخطوط من حيث كونه مخطوطا.

يقول عبد الستار الحلوجي: إذا كانت الدراسة التاريخية للمخطوط العربي تمثل الضلع الأول من أضلاع علم المخطوطات، فإن الضلع الثاني هو دراسة الحالة المادية للمخطوط: مم صنع؟ على أي شيء كتب؟ وبأي الخطوط والأقلام كتب؟ وما الذي أضيفت إليه من وسائل التوضيح ومظاهر التجميل؟ وكيف استوى في صورته النهائية التي وصلت إلينا؟

هذه العناصر التي تدور حول الوصف المادي للمخطوط هي التي يطلق عليها البعض مصطلح "الدراسة الكوديكولوجية".. والمخطوط ككيان مادي يتكون من مادة يكتب عليها، ومادة يكتب بها، وأداة تستخدم في الكتابة، وخط يُختار للكتابة، وأسلوب معين للكتابة، ثم ألوان مختلفة من الفن يمكن أن تضاف إليه، وأخيرا أسلوب معين للتجليد.

1.2- مفهوم الكوديكولوجيا (Codicologie):

مصطلح غربي يعني علم المخطوط بالمفهوم الحديث، وهو دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية، والمصطلح من وضع العالم الفرنسي ألفونس دان (A.Dain) وهو مركب من لفظتين: اللفظة اللاتينية كوديكس codex، أي كتاب مخطوط ومن اللفظة اليونانية لوجوس Logos، بمعنى علم أو دراسة، وقد دخلت المعجم الفرنسي في سنة 1959م.

الكوديكولوجيا Codicologie هو علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف؛ أي أنه يعنى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط، متمثلة في: الورق- الحبر أوالمداد- التذهيب- التجليد- وأيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل ما دون على صفحة الغلاف من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتملكات وتقييدات ووقفيات، وما يسجل في آخر الكتاب، فيما يعرف بالكولوفون Colophon (قيد الفراغ من كتابة النسخة/ الحرد) من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنسخة المنقول عنها، وكذلك معرفة المصدر الذي جاءت منه النسخة، والجهة التي آلت إليها، وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك، وقد أطلق الأروبيون عليها اسم: خوارج الكتاب Ex-Librix.

ويعرفه بعضهم في العصر الحديث: بـ علم المخطوطات، ويعنى بـ: دراسة المخطوط كقطعة مادية، مع العناية بكل ما يحيط بالمتن من حواش، وتعليقات، واستطرادات، وتملكات، وإجازات، وما ماثل ذلك، ويطلق عليه اليوم في الغرب (الكوديكولوجيا).

وفي سياق هذا التخصص في مجال دراسة المخطوط، يعتبر كتاب أحمد شوقي بنبين "علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي" الصادر سنة 1994م أول كتاب عربي يتناول موضوع الكوديكولوجيا بفهم وتتبع. كما يعد كتابه الماتع والواسع: " معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) " الصادر سنة 2005 (ط3) أول معجم عربي في مجال تحقيق المخطوطات.

وقد استخدم قاسم السمرائي مصطلح (علم الاكتناه العربي الإسلامي) للدلالة على مصطلح (كوديكولوجيا)، ويحدد مفهومه بكونه يشمل فنين شائعين في اللغات الأروبية، هما:

1- باليوغرافي: وهو علم يبحث في كل ماهو مكتوب، أو منقوش، أو مرسوم، واختبار المواد المستعملة في هذه العمليات.. وهو علم يعنى بفك الخطوط القديمة، ورموز الكتابة الأثرية، والنقوش والمسكوكات.
2- كوديكولوجي: وهو علم دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار، وفن التوريق أو النساخة، والتجليد والتذهيب، وصناعة الرقوق والجلود والكاغد، وما يتبع ذلك من فنون، وما يتصل بها، مثل: حجم الكراسة، ونظام الترقيم والتعقيبات، والسماعات،

والقراءات، والإجازات والمقابلات، وتقييدات التملك، وتقييدات الوقف، وتقييد الختام، ثم قاسم السمرائي: وقد اشتققت من كل ما سبق من المعاني والدلالات مصطلحا عربيا، هو: (علم الاكتناه العربي الإسلامي).

2.2- أهمية الكوديكولوجيا في عملية التحقيق:

ويشير عبد الستار الحلوجي إلى أن:"من يتعامل مع المخطوط العربي مطالب بأن يتعرف على نوعية الورق المكتوب عليه، وبأن يحاول تحديد الفترة الزمانية التي يرجع إليها، والمكان الذي صنع فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ فمثل هذا التحديد لا يساعد على تأريخ المخطوط في حالة عدم وجود التاريخ فحسب، وإنما يسهم أيضا في اكتشاف أي تزوير في التواريخ"

فالكوديكولوجياعلم جديد لا يقوم بتحقيق النصوص في الكتاب المخطوط؛ بل يهتم بشكل وصناعة المخطوط؛ وهو يفيد في عمليات الفهرسة لآنه يضيف بيانات جديدة لبطاقة الفهرسة كما يُعِينُ المُفَهرِس وأخصائي الترميم على زيادة معلوماتهم وإثراء أفكارهم حول المخطوط العربي؛ فالمفهرس وعالم الكوديكولوجي يلتقيان في وصف مادة المخطوط؛ كما أن دراسة التجليد على سبيل المثال بالنسبة لأخصائي الترميم تفيد في معرفة مدي تطابق التجليد مع العصر الذي كُتب فيه المخطوط.

علم الكوديكولوجيا يدرس ورق المخطوط، لتحديد عمر المخطوط، ولا يخدعه ما أثبت فيها من تواريخ قد تكون مزيفه.

3.2- مجالات الدراسة الكوديكولوجية:

هذا العلم يشمل دراسة مجموعة من العناصر، من أهمها:

1- المواد التي يكتب عليها (حوامل الكتابة):

لم يكتب المخطوط العربي إلا على ثلاث مواد هي: البَرْدي Papyrus والرَّق Parchemin والورق أو الكاغد، وقبل ظهور الورق تعاون البردي والرق على حمل أمانة الكلمة المكتوبة.. وقد عرف العرب البردي بعد فتحهم مصر سنة 20ه، ولعلهم عرفوه قبل هذا الفتح، وهو أمر يرجحه أنهم كانوا يطلقون عليه اسم "القراطيس"، وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم مفردا وجمعا. يقول ابن البيطار: إن أوراق البردي المصري كان يعمل منها كاغد أبيض يقال له القراطيس، ويذكر السيوطي أن هذه القراطيس كانت "أحسن ما كتب فيه".

وقد عرف "معجم مصطلحات المخطوط العربي" البردي Papyrus بكونه: "ورق مؤلف من ألياف نبات البردي يحاك ويصقل بالضغط ويصبح صحائف للكتابة، وأقدم بردية وصلت إلينا نسخت في عام 22ه، وهي محفوظة بالنمسا، ولم تصلنا كتب مكتوبة على البردي باستثناء أجزاء من (موطأ مالك) وبعض الصحف، أما الكتاب الكامل الوحيد الذي وصل على البردي فهو نسخة من "كتاب الجامع في الحديث النبوي" لعبد الله بن وهب (197ه)، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية.

ثم ظهر وسيط آخر للكتابه يسمي الرَّقParchemin _ وهو عبارة عن جلد الخراف أو الماعز وأحياناً البقر الصغير السن وصانع الرَّق يسمي الرَّقاق، وقد استخدم الرق في بداية عصر صدر الإسلام في كتابة المصاحف، وقد كتبت بالخط الحجازي، ثم بدأ استخدام الرق في الكتابة يختف تدريجيا نتيجه ظهور الورق وكان يسمي الأديم اي الجلد الأبيض. ويعرفه "معجم مصطلحات المخطوط العربي" بأنه: "الصحيفة البيضاء والجلد الرقيق، وقيل هو رق الغزال، ونرى أن الرق هو جلد حيوان تمت معالجته بالتجليف والدباغة وصار صالحا للكتابة، وقد ظهر في برغامة بآسيا الصغرى لمنافسة ورق البردي، ومنها أخذ اسمه الذي نجده في معظم اللغات".

أورد "معجم مصطلحات المخطوط العربي" نوعان من الرق، هما:

- رَقُّ الغزال (Peau de gazelle): وهو الرق الذي كانت المصاحف القرآنية تُنسخ فيه بالخط الكوفي في القرون الإسلامية الأولى، ويحتمل أن يطلق على الجلود الجيدة دون أن تكون بالضرورة جلود الغزلان.

- الرَّقُّ المبشورPalimpseste : الطرس أو الرق الذي مُحي وكتب فيه من جديد.

ولكننا لا نصل إلى أواخر القرن الثاني الهجري حتى يظهر منافس خطير للرق والبردي معا وهو الورق Papier الذي جمع بين الحسنيين، أو بين مميزات المادتين معا، فهو بالقياس إلى البردي أقوى وأكثر تحملا، وأصلح لعمل الكتب على هيئة دفاتر وكراريس يسهل زيادة حجمها، وهو بالقياس إلى الرق أرخص ثمنا وأقل سمكا وأخف وزنا، ولا يعيبه ما يعيب الرق من صفرة وفساد ورائحة وتشرّب للمداد. لم يكد يصنع في بغداد حتى تحول الناس إلى الكتابة فيه بدلا من الرق.

وقد عدد أحمد شوقي بنين أنواع الورق ووصل بها إلى سبعة وأربعين نوعا، منها: الورق البغدادي (ورق ثخين مع لين ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف القرآنية)، الورق الجعفري (نسبة إلى جعفر بن يحي بن خالد البرمكي الذي قتل عام 187ه وهو أحد أنواع الورق الخراساني)، الورق الحموي (هو نوع من الورق الشامي، ابتدأ عمله في مدينة حماة، ثم نقل عمله إلى دمشق)، الورق الخراساني (ورق كان يصنع من الكتان يقال إنه حدث في أيام بني أمية)، الورق الخيزراني (ورق مصنوع من قشر الخيزران)، الورق الشاطبي (نسبة إلى شاطبة، حيث أسس أول مصنع للورق في الأندلس، وقد ذكر الرحالة الإدريسي هذا المصنع عندما زار مدينة شاطبة سنة 1150م)، الورق المأموني (نسبة إلى الخليفة العباسي المأمون)..

ورغم ظهور الورق Papers (أو الكاغد باللغة الفارسية وبالعربية القرطاس أوالورق) الذي انتقل من الصين إلي العرب ثم انتشر في كل الدول العربية؛ إلا أنّ الرَّق ظل مرتبطا بالمغرب العربي لفترة طويلة مع الورق جنبا إلى جنب حتى أصبح الورق هو حامل الكتابة الرسمي حتي اليوم.

2- مواد الكتابة وأدواتها:

من عناصر الوصف المادي للمخطوط، وصف المداد الذي كتب به: نوعه وألوانه، ووصف الأقلام أو الخطوط التي كتب بها.

منها **القلم** وهو أداة الكتابة، وهو مشتق من الكلمة اليونانية(Calamos)، ودخلت الفرنسية (Calame) وكان يصنع من البوص والخيزران والخشب والذهب أو الفضة أو النحاس، والغالب فيه أن يتخذ من القصب، وقد ذكر أحمد شوقي بنبين للأقلام ثلاثة وعشرون نوعا.

أما **المداد** فقد عرف العرب منه نوعين أحدهما كان يسمى الحبر المطبوخ أو الحبر الرأس، وكان يصنع من العفص والزاج والصمغ، ويتصف بالبريق واللمعان، ويناسب الكتابة في الرقوق، وثانيهما حبر الخان، وكان يناسب الورق ولا يصلح لأن يكتب به في الرقوق لأنه –كما يقول البطليوسي-"قليل اللبث فيها، سريع الزوال عنها".

وقد حصر أحمد شوقي بنين أنواع الحبر وكيفية صناعته وإعداده فيما يلي: الحبر الأحمر، الحبر الحديدي الأزرق (يجهز هذا الحبر بإذابة مادة الأزرق البروسي في الماء المصمغ، ليكون محلولا أزرق) الحبر الحديدي الأسود (يتكون من كبريتات الحديد والعفص –ثمار شجر البلوط- والصمغ العربي والماء أو الخل كمذيب)، حبر الدخان، وحبر دهن بدرة الفُجْل والكتّان (وهو حبر أسود اللون ينتج من حرق الدهن مع الصمغ العربي)، حبر الرأس (حبر لا دخان فيه، يكون براقا، ويناسب مادة الرق)، حبر الرق (يصنع من العفص الرومي والصمغ العربي والزاج بأن يغلي كل ذلك في ماء عذب ، ويصفى ويستعمل عند الحاجة)..

ولابن مقلة (326ه) رسالة في علم الخط والقلم، وينسب للمعز بن باديس (454ه) كتاب عن صناعة الكتاب يسمى "عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب" تناول فيه صناعة الأحبار، وهناك مخطوط فريد عن صناعة المداد موسوم بـ "الأزهار في عمل الأحبار" لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري، وهو أوسع وأشمل ما فصّل عن فنون الحبر.

وكان اللون الأسود والأسود المائل إلى الاخضرار هو اللون السائد في كتابة المخطوطات، وكانت أسماء السور في المصاحف تميز بكتابتها بماء الذهب في أغلب الأحوال، في حين كانت العناوين والكلمات التي يراد تمييزها في المخطوطات العادية تكتب باللون الأحمر.

3.3- بعض جوانب البحث الكوديكولوجي وموضوعاته:

1- التجليد (التسفير) Reliure:

التجليد هو فن قائم بذاته، يسمى في المغرب التسفير، وهو كسوة الكتاب بالغلاف، وقيل: إن الأحباش هم أول من جلد الكتب، وعنهم انتقل التجليد إلى الجزيرة العربية، وقيل: المصريون أول من جلد الكتب الدينية.

وهناك أنواع للتجليد، مثل: التجليد الجزئي والتجليد الفاخر والتجليد الكلي والتجليد المكسر والتجليد المعماري

يقول أيمن فؤاد سيد مبرزا-ومستغربا في آن!- سبق المغاربة (بلاد المغرب والأندلس) في الحديث عن الجوانب الكوديكولوجية ومنها صناعة الكتاب المخطوط: لعل من الغريب أن كل المؤلفات التي وصلت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس، فرغم أن الوراقة وهي الحرفة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربي قد ظهرت في الحضارة العربية الإسلامية منذ العصر العباسي، فإنه لم يصل إلينا أدب مشرقي يعرف بكيفية صناعة الكتاب المخطوط.

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد، مثل: الجلد والحرير والورق الملبّد والخشب والخيط..بالإضافة إلى حرفية الصانع في الحبك والقص والوشم والرشم.. ويعد كتاب "عمدة الكتاب" أقدم نص متكامل يناقش ويشرح طريقة صناعة التجليد بشكل واضح.

2- زخرفة المخطوط L'ornementation:

يعرفها أحمد شوقي بنبين بقوله: هي مجموع العناصر المزينة والأشكال المصورة في مخطوط لتحسينه، ويورد لها سبعة أنواع، هي: الزخرفة الآدمية والزخرفة الحلزونية والزخرفة الحيوانية والزخرفة الكتابية والزخرفة اللولبية والزخرفة النباتية والزخرفة الهندسية.

ومن عناصر البحث الكوديكولوجي نذكر ما يلي: حرد المتن Colophon- علامات التملك Ex-libris- وسائل التوضيح، و تشمل النقاط التالية: (التعقيبة Réclame – اللحق – التضبيب أو التمريض)،

3- علامات التملك Ex-libris:

هامش نصي يشير إلى ملكية المخطوط لشخص بعينه. وتعني تملُّك النسخة، وكان بعض النساخ يدونون أسماءهم على المخطوطات، حيث يكتب الاسم والتاريخ والمدينة، وتكون مصحوبة بختم يوضع فى صفحة العنوان على شكل دائري أو مربع أو مستطيل صغير الحجم؛ وقد نجد ختم صاحب النسخة، ثم ختم آخر يحمل توقيع الابن..

4- حرد المتن Colophon:

يقصد به: تقييد الفراغ، ولفظة حرد نبطية الأصل معربة جاءت من الحُرْدية وهي حياصة (حزام) الحظيرة تشد على حائط من قصب عَرْضًا، تقول: حردناه تحريدا، وكأن حرد المتن بمثابة حزام واق جعل في آخر الأصل ليحميه ويشعر بحدوده ونهايته، وقيل إنه من الآرامية. وهو الهامش الموجود في آخر المخطوط والمتعلق بالنّسَّاخة وبياناتها، ويذهب عصام الشنطي إلى أن حرد المتن هو تاريخ النسخ من النسخة بعد تمام مادة المؤلف.

وأحيانا يوضع حرد المتن في نهاية المخطوط على شكل مثلث مقلوب، حيث يشير فيه الناسخ إلى العنوان واسم الناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة..

5- وسائل التوضيح:

قد يلجأ النساخ إلى استعمال مجموعة من الوسائل بغرض الإيضاح وتسهيل القراءة، منها: التعقيبة- اللحق- التصويب- والتضبيب..

أ- التعقيبة Réclame:

هي نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب مؤلفاتهم، وتسمى الرقاص والوصلة، وهي أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة تحت آخر كلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الموالية.

وتكون التعقيبة عادة أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الصفحة اليمنى، وهي تستعمل للإطمئنان إلى تسلسل الكتاب وتأمين تتابع الصفحات في حالة ما إذا تبعثر المخطوط وانفرطت أوراقه.

ولا شك أن نظام التعقيبة قديم يرجع إلى بداية القرن الثالث الهجري، فقد وجدت في العديد من المخطوطات التي تعود إلى هذه الفترة، وظلت التعقيبة من أهم ما يميز ترتيب أوراق وكراسات المخطوط العربي حتى ظهور الطباعة، بل إنها استخدمت في كثير من الطبعات الحجرية.

أ- اللحق:

يقصد به: تخريج الساقط من الكتاب في الحواشي، وهو أن يخط الكاتب من موضع سقوطه من السطر خطا صاعدا إلى فوق، ثم يعطفه بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق، ويبدأ في الحاشية بِكِتبة اللحق مقابلا للخط المنعطف.

فاللحق بأبسط تعريف هي خط رأسي يرسم بين الكلمتين، يعطف بخط أفقي يتجه يمينا أو يسارا إلى الجهة التي دون فيها السقط، وتأتي بهذا الشكل: (¬)

ج- التضبيب (التمريض):

وهو تمييز الخطأ بكتابة "صاد" عليه ممتدة، أو أن يمدّ على الكلمة خط أوله كالصاد في حالة ما إذا ثبت أن فيها ثمة تصحيفا أو تحريفا. وقد استعمل ناسخ مخطوط "كعبة الطائفين" (نسخة باريس) هذه الوسيلة في عدد من صفحاته.

فالتضبيب معناه: استغلاق الكلام، وعدم فهم معناه، لسقم في لفظه، مع صحة ورود الرواية به، ويسمى أيضا التمريض، وهو أن تكتب علامة (صـــ) على الكلام الذي هذه صفته، كأن يكون فيه تصحيف، أو نقص، أو تقديم أو تأخير أفسد السياق.. وصاد التضبيب هذه كتبت ناقصة، كأنها جزء من (صح) إشارة إلى أن الصحة في الكلام لم تتم، فهو وإن كان صحيحا من حيث الرواية، فهو ناقص، لعدم استقامة المعنى، فكأنه حرف ناقص وضع على ناقص، يفيد تمريضه وضعفه، واحتيج لوضع هذه العلامة، لينبه على أنه وُقِف على هذا الكلام المختل، وأنه صحيح الرواية، ولكن لم يُهتد فيه بعد النظر والتأمل إلى وجه، فلا يظن أنه غفل عنه.

(م6) الجانب الباليوغرافي Paleographie (دراسة الخطوط)

1.3- مفهوم علم الباليوغرافيا:

هو علم يفيد في التعرف على الكتابات القديمة وفك رموزها، وفي التعرف على أنواع الخطوط المختلفة، والمصطلح مكون من كلمتين يونانيتين: Paleo بمعنى قديم، وgraphie بمعنى كتابة أو رسوم أوخطوط، والباليوغرافيا هو علم يبحث في الخطوط من حيث تاريخها وتطورها واستخدامها في مختلف العصور، ودراسة المواد المستعملة في الكتابة.

وعلم الباليوغرافيا مهم جدا في كشف أي تزوير في الخط، ويروي التاريخ أن بعض الحذّاق قد تمكن من تقليد الخطوط تقليدا متقنا، يذكر ابن الأثير صاحب "الكامل في التاريخ" أن علي بن محمد الأحدب المزوّر كان يكتب على خط كل واحد، فلا يشك المكتوب عنه بأنه خطه.

كذلك عن طريق علم الباليوغرافيا يتم تحديد عصر كل خط، فإن لكل عصر نهجا خاصا في الخط ونظام لكتابته..فقد كان الخط الكوفي غالبا في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ثم بدأ يتطور إلى خط النسخ، وما يشبهه من أنواع الخطوط المدوّرة، أما الخط المغربي فهو مزيج بين الخط الأندلسي والنسخ، والخط الأندلسي له ملامح يختلف بها عن الخط المغربي وخط المشرق وذلك بما يظهر فيه من الاستدارات وتداخل الكلمات وإطالة الحروف.

2.3- الجهود المؤسسة للباليوغرافيا العربية:

لقد قامت محاولات لوضع بداية جادة لهاذ العلم تقدم لنا كيفية هذه الدراسة وبعض تطبيقات عملية لها، أولها المؤتمر الذي عقد في اسطنبول واستضافه المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية ونظمه الباحث الفرنسي فرانسوا دير وش في ماي 1986 ونشرت بحوثه عام 1989 بعنوان:

Les manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de Paléographie

ثم توالت مؤتمرات وندوات في هذا المجال، لعل من أبرزها: الندوة الدولية التي عقدتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1992، والمؤتمر الذي نظمته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن عام 1993 والذي كان عنوانه: كوديكولوجيا المخطوط الإسلامي..

وكان العمل الباليوغرافي الذي قدمه صلاح الدين المنجد والموسوم بـ "الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري" والذي جمع فيه نماذج توضح الخطوط التي كتب بها المخطوط العربي عبر القرون عملا يستحق التنويه، بالإضافة إلى الدراسة التي صدرت عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض سنة 1985 والموسوم بـ "الخط العربي من خلال المخطوطات".

وإلى جانب النماذج القيمة التي يعرضها الكتاب، نراه يحصي أسماء الخطوط التي وردت في مراجع الخط العربي وفي المصادر التاريخية والأدبية، ويصنفها إلى خطوط تنسب إلى أماكن مثل المغربي والأندلسي والفارسي، وخطوط تنسب إلى أشخاص مثل الريحاني والياقوتي، وخطوط تنسب إلى وظائف مثل الديواني والحوائجي، وخطوط تنسب إلى أمور أخرى مثل مساحة الورق الذي تكتب فيه كخطوط الطومار والدرج والرقعة..

جانب الدراسة والتحقيق:

يتناول هذا الجانب المحاور التالية:

1- جمع نسخ الكتاب المخطوط وترتيبها
2- تحقيق عنوان الكتاب المخطوط وتوثيقه،
3- تحقيق اسم المؤلف وتوثيقه، (هذه الجوانب الثلاثة تدخل ضمن قسم الدراسة)
4- تحقيق نسبة الكتاب المخطوط إلى مؤلفه بأدلة علمية،
5- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مطابقا لنص مؤلفه./ إخراج النص ووضع الفهارس (هذا الجانب يدخل ضمن قسم التحقيق)

(مح/7) جمع نسخ المخطوط ودراستها ومقاييس ترتيبها

إذا اطمأن الباحث إلى أن كتابا ما جدير بالتحقيق، فأوّل ما يبدأ به أن يجمع نسخه المنتشرة في مكتبات العالم، ويستعين على معرفة عدد نسخه وحالته وأماكن وجوده.. بكتب الفهارس العامة والخاصة.

1- مرحلة جمع النسخ وأهميتها:

هل المحقق مطالب بإحضار جميع النسخ، أم يكتفي ببعضها، أو بما يسمح له بإخراج نص الكتاب المخطوط؟

المحقق هاهنا مطالب بإحضار جميع نسخ الكتاب المخطوط الممكن إحضارها؛ لماذا؟ فقد يكون فيما لم يطّلع عليه من النسخ زيادات مهمة، ذات قيمة للكتاب، أو يكون من بينها نسخة المؤلف، أو التي تحمل إجازته، ثم إنه كلما كثرت النسخ، استطاع المحقق أن يخرج نصا صحيحا كاملا، خاليا من التصحيف والتحريف، لأن النسخ تكمل بعضها بعضا..

وحتى ندرك أهمية مرحلة جمع النسخ وخطورتها يذكر لنا أحمد شوقي بنبين هذه الحادثة: حيث أن المحقق الكبير والمدقق الشهير عبد السلام هارون، وهو أحد أساطين فن التحقيق العربي، حينما انكب على تحقيق كتاب "سيبويه" والذي يطلق عليه دستور النحو ويتوسع بعضهم بنعته "قرآن النحو"، اعتمد على ثلاث نسخ أخرى بالإضافة إلى الثلاث نسخ التي اعتمدها المستشرق الفرنسي مارنتيج ديرَنبورج في نهاية القرن 19م. إذا النسخ الجديدة التي اعتمدها هارون لم تضف شيئا مهما، لنشرة المستشرق الفرنسي ديرنبورغ، كما يذكر هو نفسه: فهي إما مجهولة الناسخ، وعارية من تاريخ النسخ، أو حديثة العهد، أو هي أوراق متناثرة، الانتفاع بها عسير جدا ولا تصلح لغير الاستئناس. إذا التقصير بالتفتيش عن كتاب سيبويه، من قبل عبد السلام هارون جعله يُغفل نسختين محفوظتين في دار الكتب بالقاهرة، وأخريات في مكتبات تركيا وبرستون بأمريكا، وكلها أقدم وأوثق من تلكم التي اعتمدها في نشرته.

وقد قال صالح الجرمي قديما (ت 225ه) -وقد قرأ الكتاب عن طريق الأخفش-: نظرت في كتاب سيويه فإذا به ألف وخمسون بيتا، أي شاهدا، أما الألف فعرفت أسماء قائليها فأثبتها، أما الخمسون فلم أعرف قائلها، ومن يقرأ في النسخة المطبوعة لكتاب سيبويه اليوم يجد أن شواهد الكتاب لا تتجاوز الخمسمائة بيت، فهل ضاع الباقي، أم وقع خلل في الكتاب، أم وصل الكتاب ناقصا؟ ربما الاجتهاد في الوصول إلى الثمانين نسخة المحفوظة في خزائن الكتب العالمية ودراستها درسة كوديكولوجية ستجيب عن هذه التساؤلات إما كليا أم جزئيا.

إذا، فبعد أن يجمع الباحث النسخ المختلفة عن المخطوط، يشرع في قراءة هذه النسخ قراءة متأنية للتعرف عليها، بغية ترتيبها من حيث المنزلة والأهمية. والتي يحددهما معياران: الأقدمية والجودة. ثم يعطيها رموزا

وعموما ترتب النسخ وفق المعايير الآتية:

2.1- نسخة المؤلف:

نسخة المؤلف هي أعلى النسخ جميعا رتبة، وتعرف عادة بالنسخة الأم أو الأصلية، أنا أسميها "النسخة المتعالية"..

أعلى النسخ هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملاها، أو أجازها (بمعنى قرأت عليه فأجازها)، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطّلاعه عليها أو إقراره لها.

ملاحظة: ينبغي التفطن إلى أن بعض الناسخين تذهب بهم الغفلة أحيانا إلى نقل عبارة المؤلف بنصها، من نسخة الأصل التي كُتِبَ فيها: (انتهيت منه..) أو (كتبه فلان...) اسم المؤلف، فيظن المحقق ومن يقف عليها بسبب تلك العبارة أنه ظفر بنسخة المؤلف، وليس الأمر كذلك.

وفيما يتعلق بنسخة المؤلف بوصفها أرفع النسخ، ينبغي التفطن إلى قضيتين مهمتين، هما:

أولا: تعدد الإبرازات: فنسخة المؤلف هذه قد تتعدد إبرازاتها مرتين أو ثلاثة أو أكثر، فإنَّ من الكتب ما نقل عن مؤلفه في ست صور، مختلفة الزيادة والنقص، وإذا استعملنا لغة الناشرين قلنا: إنه قد يصدر بعد الطبعة الأولى طبعة ثانية وثالثة.. فالمعروف أن الجاحظ ألّف كتابه "البيان والتبيين" مرتين، كما ذكر ياقوت في "معجم الأدباء"، وقد ذكر أن الثانية أصح وأجود. ويذكر عبد السلام هارون أنه تأكد من ذلك بنفسه في أثناء تحقيقه لكتاب الجاحظ هذا.

وكما فعل ابن خلدون في مقدمته وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن خلكان في وفاياته..وهو ما يطلق عليه المخطوط المتعدد الإبرازات.

وقد ذكر ابن النديم أن كتاب "الياقوت" لأبي عمر الزاهد (345ه) أملاه مؤلفه ست مرات، في كل مرة يضيف يواقيت وزيادات لم تكن فيما أملاه من قبل، إلى أن اجتمع إليه الناس في العرضة الأخيرة التي سماها البحرانية، ونبّه إلى أن ما جاء فيها هو المعتد به، ونفى صحة ما خالفها مما جاء في غيرها، وفي هذه الحالة يكون للإبرازة الأخيرة فضل وتقديم على غيرها.

لذلك كانوا يعدون أصح النسخ آخرها سماعا، لذلك كانت لرواية الفربري محمد بن يوسف ت 320ه لصحيح البخاري مزية على غيرها، فقد سمعه من مؤلفه مرتين، آخرها كانت عام 252ه، ومات البخاري عام 256ه، وقد أقرأ كتابه ما يزيد عن ثلاث وعشرين عاما

ثانيا: المسوّدة والمبيّضة: هو اصطلاح قديم جدا، يراد بالمسوّدة، النسخة الأولى للمؤلف، قبل أن يهذبها، ويخرجها سويّة، أما المبيضة فهي التي سُوِّيت وارتضاها المؤلف كتابا يخرج للناس في أحسن تقويم.

ومن اليسير أن يعرف المحقق مسوّدة المؤلف، بما يشيع فيها من اضطراب الكتابة، واختلاط الأسطر، وترك البياض، والإلحاق بحواشي الكتاب، وأثر المحو والتغيير.

ملاحظة: مسودة المؤلف إن ورد نص تاريخي على أنه لم يخرج غيرها، كانت هي الأصل الأول، أما إذا وجدت المبيّضة، فيكون دور المسودة ثانويا معها.

وإن لم يرد نص، كانت (أي المسودة) في مرتبة النصوص الأولى، ما لم تعارضها المبيضة، فإنها تَجبُّها بلا ريب.

2.2- النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف: النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف جديرة بأن تحل في المرتبة الثانية – بعد نسخة المؤلف- ثم فرعها وفرع فرعها.. (خاصة التي كتبت في عصره)

3.2- النسخة المكتوبة في حياة المؤلف:

بعد النسخة التي كتبها المؤلف أو قرأها، أو قرأت عليه، فأجازها، تأتي في الأهمية النسخة التي كتبت في عصر المؤلف، ويُعرف أن النسخة كتبت في حياة المؤلف، بتاريخ نسخها إن وجدت، مثل نسخة "الذَّب عن مذهب مالك" لأبي يزيد، تاريخ نسخها هو (371ه) وابن أبي زيد توفي عام (386ه)، أو يفهم ذلك من عبارة الناسخ، حين يقول عن المؤلف عند ذكر اسمه: (أطال الله في عمره) أو (أبقاه الله) دون أن يقول: (رحمه الله).

ومن جملة ما استدل به الشيخ شاكر على أن نسخة "الرسالة" للإمام الشافعي، كتبت بخط تلميذه الربيع في حياته، أن الربيع لم يذكر ولا مرة الترحم على الشافعي عند ذكر اسمه.

وكذلك كانت لرواية يحي بن يحي الليثي (ت 234ه) لموطأ مالك أفضلية على غيرها من الروايات، فكانت من أوفى روايات الموطأ وأكثرها مطابقة لأصل مالك، لماذا؟ لأن يحي رحل إلى مالك للسماع منه في السنة التي مات فيها، وقد أقرأ مالك كتابه ما لا يقل عن عشرين سنة، قال ابن عبد البر عن رواة الموطأ: "ويحي آخرهم عرضا، وما سقط من روايته، فمن اختيار مالك وتمحيصه".

4.2- النسخة الأقدم:

ثم يلي ذلك من النسخ في الأهمية، ما كان أقدم زمنا، وتفضل النسخة التي كتبها عالم، أو ملكها أو راجعها، أو تداولتها أيدي العلماء، ويعرف ذلك بالتنبيه عليه أحيانا، كما جاء في مخطوطة "توشيح الديباج وحلية الابتهاج" لمحمد بن يحي القرافي (ت1009ه/ نسخة الأزهر:3035) فإن عليها مطالعة للشيخ حسن العطار شيخ الأزهر (ت1250ه) فقد جاء في آخر ورقة منها: "الحمد لله على فضله، استقصاه مطالعة فقير رحمة ربه حسن محمد العطار خادم العلم والعلماء بالأزهر عفا الله عنه".

وتُعرف مراجعة العالم للمخطوط أيضا بحواشيه الغنية بالتعليقات العلمية المفيدة، مثل التنبيه على خطء أو تحرير إشكال، وتنتهي الحاشية غالبا بما يفيد التوثيق الذي هو عادة صنيع العلماء. لذلك حازت نسخة الحافظ اليونيني (701ه) من صحيح البخاري القبول العام من الناس، فحفظت حتى طبع عليها النص المتداول من الصحيح اليوم، وكان لها فضل على غيرها، لأنها صححت وقوبلت بمحضر جماعة من العلماء في مجالس علمية متعددة، أحضر لها على وجه الخصوص شيخ الإسلام ابن مالك النحوي (علي بن محمد ت 672ه) لتصحيحها وضبط ألفاظها.

ملاحظة: تقديم النسخة الأقدم على غيرها مبدأ عام صحيح من حيث الجملة، لكن لا يلزم أن يكون صحيحا دائما، فقد تكون النسخة القديمة أفسدتها يد ناسخ قليل العلم، ففشا فيها التصحيف والتحريف، من جرّاء إصلاحه ما استغلق عليه وقت النسخ بعلمه القليل، فيفسد الصالح ويظلم الكتاب، فإذا وجد مع نسخة هذه حالها نسخة أخرى أحدث منها صحيحة الكتابة، خالية الأخطاء، فإنها تكون أولى بالتقديم.

وقد يحدث أحيانا أن تكون نسخة متأخرة جدا، ولكنها متقنة ومضبوطة، لأنها نقلت عن نسخة المؤلف، أو نسخة أخرى قديمة صحيحة، فقدت.. فلا شك أن مثل تُقدّم على ما كان أقدم منها، وليست لها هذه الصفة.

يقول عبد السلام هارون: "وعلى ذلك فإنه يجب مراعاة المبدأ العام، وهو الاعتماد على قدم التاريخ في النسخ المُعَدّة للتحقيق، ما لم يعارض ذلك اعتبارات أخرى تجعل بعض النسخ أولى من بعض في الثقة والاطمئنان، كصحة المتن، ودقة الكاتب، وقلة الأسقاط، أو أثبت عليها سماع علماء معروفين..".

تحقيق عنوان الكتاب واسم مؤلفه ونسبته إليه

(مح/8) تحقيق عنوان الكتاب المخطوط

1- العنوان لغة واصطلاحا:

يقول ابن فارس (ت 394ه): "العين والنون أصلان، أحدهما يدل على ظهور الشيء وإعراضه، والآخر يدل على الحبس" ثم قال ضمن كلامه عن الأصل الأول -وهو ظهور الشيء وإعراضه-: ومن الباب: عنوان الكتاب؛ لأنه أبرز ما فيه وأظهره.

ووهناك من يعرفه بكونه: الأثر والعلامة، أو الإخراج والإظهار، أو العناية..

2- **المعنى الاصطلاحي:** العنوان هو اللفظ أو الألفاظ التي تكون على واجهة الكتاب وطُرّته، ويراد بها أن تكون علامة للكتاب تميزه عن غيره من الكتب وتنبئ عن مضمونه.

3- **العنوان عند أهل التحقيق:**

أولا: إن العنوان الصحيح هو الذي نحته مؤلف الكتاب المخطوط، وارتضاه له دون تغيير شيء فيه، وهو أحد أخص خصوصيات المؤلف، ولا يجوز لأي أحد -ناسخا كان أم محققا- أن يفكر في أن يمسَّه بأي قدر من التغيير أو التحوير، فالتدخل في عنوان الكتاب المخطوط من قبل المحقق فيه اعتداء على أعظم حقوق المؤلف، واستهانة واستخفاف بعلمه وعقله، فالكتاب ابن المؤلف، وعنوانه كاسم ولده، فهل يحق لأحد أن يغير اسم ولدك، الذي سميته به معاندا لك في ذلك؟

ثانيا: أنه إذا كان عملُ المحقق إخراج متن الكتاب أقرب ما يكون إلى أصل مؤلفه؛ فذلك في العنوان أوجب وأحق، وإذا أبحنا للمحقق التصرف في العنوان بالتغيير، فمتن الكتاب له بعد ذلك حمى مستباح.

ثالثا: إن العنوان في حقيقته هو الكلمة أو الكلمات التي تختصر مضمون الكتاب بصفحاته ومجلداته، وتعتصر جميع معانيه، لذلك فإن أقدر الناس على هذه المهمة الجليلة كاتب الكتاب، إذ هو الذي وضع عناصره وقسم أبوابه وفصوله وحرر قضاياه ومسائله.

من هذا المنطلق كان العنوان الصحيح هو الذي وضعه المؤلف لكتابه، دون نقص منه أو زيادة أو تعديل من طرف المحقق.

مثال ذلك: قام العلامة محمود بن محمد شاكر الحسني المصري (ت 1418ه) بإضافة كلمة (فحول) عند تحقيقه لكتاب ابن سلام الجمحي (ت 231ه) "طبقات فحول الشعراء" وأنه أضافها لأنها تبدو إضافة منطقية، فتصدى له علي جواد في رده: "ولكن المسألة ليست مسألة منطقية، وإن المنطق شيء والاسم الذي سمى المؤلف به كتابه وتداولته العصور شيء آخر، وليس للمحقق -كائنا من كان- أن يحكم منطقه في اسم الكتاب الذي يوكل إليه".

4- فقدان عنوان المخطوط:

بعض المخطوطات تكون خالية من العنوان، إما بترا أو طمسا أو فقدا:

- (الانطماس): إما لانطماس العنوان، بسبب بياض أو مداد أو خروم،
- (البتر): أو بسبب بتر في مقدمة المخطوط، فقدان الورقة الأولى منها (نقول مخطوط مبتور الأول أو الآخر أو خروم غيبت العنوان)
- (الفقد): عدم وضع المؤلف عنوانا لمخطوطه من أصله. (حالات استثنائية)

فيحتاج المحقق في الحالة الأولى (البتر) إلى إعمال فكره في ذلك بطائفة من المحاولات التحقيقية، منها:

- الرجوع إلى كتب المؤلفات؛ كابن النديم، أو كتب التراجم.. (خاصة بعد معرفة موضوع المخطوط وبابه، خاصة إذا كان المؤلف ترك عملا واحدا في موضوع ما، النحو أو البلاغة..)

- الرجوع إلى المصنفات التي تضمنت نصوصا من الكتاب المخطوط عن طريق الاقتباس، فأحالت على عنوانه بشكل واضح..

أما في الحالة الثانية؛ حالة "الانطماس"، فإذا كان الانطماس جزئيا، وكان اسم المؤلف واضحا معه في النسخة، فإن تحقيقه موكول إلى معرفة ثبت مصنفات المؤلف وموضوع كل منها متى تيسر ذلك.

أما في الحالة الثالثة؛ (الفقدان) وهي عدم وجود للكتاب المخطوط عنوانا أصلا، فإننا نلاحظ في العنوان الذي نختاره ما يلي:

- الأولى: العنوان الذي على نسخة تلميذ المصنف، أو على أوثق النسخ وأقدمها وأصحها،
- الثاني: الأكثر صدقا ووضوحا في التعبير عن موضوع الكتاب،
- الثالثة: الأكثر شهرة، فإذا كان الكتاب مشتهرا باسم معين عند أهل العلم، فيؤهله اشتهاره أن يكون هو عنوان الكتاب.

5- تزييف عنوان المخطوط:

أحيانا يُثبت على النسخة عنوان واضح جلي، لكنه يخالف الواقع:

- إما بداعي من دواع التزييف،
- وإما لجهل قارئ ما وقعت إليه نسخة مجردة من عنوانها، فأثبت ما خاله عنوانها.

إذا التزييف المتعمد يكون بمحو العنوان الأصيل للكتاب، وإثبات عنوان لكتاب آخر أجل قدرا منه ليلقى رواجا.. وأما التزييف الساذج فمنشؤه الجهل، فيضع أحد النساخ في صدر الكتاب عنوانا يخيل إليه أنه هو العنوان الأصيل.

وكثير من النساخ المساخ تجنوا على كثير من كتب التراث فقاموا بتحريفها لأسباب مذهبية أوعقائدية، مثال ذلك: كتاب الكشاف للزمخشري، كل النسخ التي تعد بالعشرات في خزائن العالم، الكاتب يستفتح مقدمته بقوله: الحمد لله الذي نزل القرآن على عبده، ولكن في النسخة الأصلية التي خطها بيده، المحفوظة في الخزانة الوطنية ببريطانيا، يقول: الحمد لله الذي خلق القرآن. وهو كان معتزليا، يؤمن بخلق القرآن، واختلاف المذهب دفع النساخ لتغيير كلمة خلق بنزل.

6- وسائل معرفة العنوان الصحيح للكتاب المخطوط:

من وسائل معرفة العنوان الصحيح للكتاب المخطوط، ما يلي:

- الوسيلة الأولى: أن نجد للكتاب نسخة بخط المؤلف، وعلى واجهة الكتاب وطرته عنوانه بخط يده أيضا،
- الوسيلة الثانية: أن يسمي المؤلف كتابه في مقدمة الكتاب تسمية صريحة، إذ من عادة كثير من المؤلفين أن يختموا مقدماتهم بمثل قولهم: "وسميته بكتاب كذا"،
- الوسيلة الثالثة: أن يسمى الكتاب صراحة في أثناء متنه، بعد مقدمته،
- الوسيلة الرابعة: أن يسمى الكتاب في خاتمته، كأن يقول في آخره: "تم كتاب كذا"،
- الوسيلة الخامسة: أن يسمى الكتاب في طرة نسخة خطية معتمدة كالنسخة التي قرئت على المصنف، أو القريبة زمنا منه، أوالمقابلة من ناسخ عالم، أوالمتداولة بين العلماء قراءة وتصحيحا، فإذا تكرر العنوان نفسه في أكثر من نسخة أصلية (لا فرعية) كان ذلك في غاية من القوة، مما يزيد الاطمئنان، إلى صحة العنوان،
- الوسيلة السادسة: أن يسمي المؤلف كتابه في مصنف آخر، مما يدل على أهمية الاطلاع على ما يستطاع من مصنفات المؤلف،
- الوسيلة السابعة: البحث في كتب الفهارس والبرامج.. لأنها كتب تعنى بذكر أسماء المؤلفات،

(مح/10) تحقيق اسم المؤلف

يشمل هذا القسم الذي يصدر به المحقق كتابه عادة على قسمين؛ قسم في التعريف بمؤلف الكتاب، وقسم في التعريف بالكتاب المحقق، وهذا القسم يشمل تحقيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.

1- تحقيق اسم مؤلف المخطوط وتوثيقه:

أ- تحقيق اسم المؤلف:

أحيانا تفقد النسخة النص على اسم المؤلف، فمن العنوان يمكن الاهتداء إلى ذلك الاسم، بمراجعة فهارس المكتبات، أو كتب المؤلفات، أو كتب التراجم، كمعجم الأدباء لياقوت، وإنباه الرواة للقفطي..

على أن اشتراك كثير من المؤلفين في عنوانات الكتب يحملنا على الحذر الشديد في إثبات اسم المؤلف المجهول، إذا لا بد من مراعاة اعتبارات تحقيقية، ومنها المادة العلمية للنسخة، ومدى تطويعها لما يعرفه المحقق عن المؤلف، من حيث حياته العلمية، وأسلوبه، وعصره.

فهناك كتب تتفق عناوينها، والمؤلف مختلف، وكذلك أحيانا موضوعاتها تتشابه، فتجد مثلا: "الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان (ت150ه)، و"الأشباه والنظائر" للسيوطي (ت911ه)، و"الأشباه والنظائر" لابن نجيم (ت975ه)، فالأول له أشباه في القرآن، والثاني له أشباه في الفقه، وأخرى في النحو، والثالث له أشباه في الفقه.

وقد يعتري التحريف والتصحيف أسماء المؤلفين المثبتة في الكتب، فالنصري قد يصحف بالبصري، وحيّان إلى حبّان.. كل ذلك يحتاج إلى تحقيق وتوثيق وتدقيق.

ب- التعريف بالمؤلف:

أهم ما يعتنى به المحقق هاهنا، الحديث عن مكان ميلاده، وتاريخه، وتاريخ وفاته، وشيء عن نشأته الأولى، وهل كان في أسرته من اشتهر بالعلم وبرز فيه، وأهم شيوخه وأسانيده وإجازاته، ورحلاته وتنقلاته في طلب العلم، أو غير طلب العلم، وشهرته العلمية، وشهادة العلماء فيه، ومجالسه العلمية، ومناظراته ومراسلاته للعلماء، وسجالاته... وتلاميذه خاصة المشهورين منهم، ومؤلفاته، وذكر المطبوع منها والمخطوط، ورقمه ومكانه..

وينبغي أن يتسم عرض هذه المعلومات بطابع الدراسة، وحسن التبويب والاستنتاج واستخلاص المواقف والأحكام، لا مجرد سرد المعلومات من كتب التراجم. وكذلك تقتضي الترجمة للمؤلف بيان عصره، وما يتصل بذلك من تاريخ دون استطرادات.

(م11) تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

أ- تحقيق نسبة الكتاب:

ليس بالأمر الهيّن أن نؤمن بصحة نسبة أي كتاب كان إلى مؤلفه، لا سيما الكتب الخاملة؛ التي ليست لها شهرة، فيجب أن تُعرض هذه النسبة على فهارس المكتبات، وكتب التراجم..لنستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب.

وقديما تكلم الناس في كتاب العين المنسوب إلى الخليل، وقد ساق السيوطي في المزهر نصوص العلماء وأقوالهم في القدح في نسبة هذا الكتاب، ويكادون يجمعون أن الخليل وضع منهجه ورسمه، وأن العلماء حشوه من بعده.

فقد وجد المحققون في كتاب العين بعض الهنات، التي لا يمكن أن تصدر من عالم مقتدر مثل الخليل، لذلك فمعرفة القدر العلمي لمؤلف ما مما يسعف في التحقق من نسبة الكتاب.

وتعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس في تصحيح نسبة الكتاب أو تزييفها، فالكتاب الذي تحشد فيه أخبارا تاريخية تالية لعصر مؤلفه الذي نسب إليه، جدير بأن يسقط من حساب ذلك المؤلف، ومن أمثلة ذلك كتاب نسب إلى الجاحظ، وعنوانه: "كتاب تنبيه الملوك والمكايد" منه صورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (2345/أدب) من أبوابه، باب: "نكت من مكايد كافور الإخشيدي"، فأين كافور من الجاحظ، مات الجاحظ عام 255ه وولد كافور عام 292ه..

وأعجب من ذلك مقدمة الكتاب التي لا تصح أن تنتمي إلى قلم الجاحظ.

مثال آخر: مخطوطة "الغريب المصنف" في دار الكتب المصرية تحت رقم: 121/لغة، يوجد في صفحة العنوان منها: "الغريب المصنف" لأبي عمر الشيباني، والكتاب في الحقيقة هو لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ولكن لما كان الكتاب يبدأ بعبارة: "قال أبو عبيد: سمعت أبا عمر الشيباني يقول.." ربما ظن الناسخ أن الكتاب لأبي عمر الشيباني فنسبه إليه.

ب- دراسة الكتاب والتعريف به:

بعد التحقق من عنوان الكتاب، والتحقق من صحة نسبته إلى مؤلفه، يقوم المحقق بوصف نسخ المخطوط التي تجمعت لديه، واحد فواحدة، وبيان أرقامها، ومقاساتها، وعدد سطورها في الصفحة الواحدة، ومتوسط عدد كلمات كل سطر، ووصف الخط، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ إن وجد..

وإن لم تكن تحمل تاريخا، يستعان على تقريب التاريخ بنوعية الورق، والمداد، وبما يوجد عليها من تملّكات، أو شهادات التحبيس..مما يساعده في إثبات تاريخ الكتاب المخطوط.

ومما ينبه عليه المحقق أيضا وصف حال المخطوط، من حيث التصحيفات والتحريفات أو السقط، أو خروم وتعليقات وحواشي، ويختار من كل نسخة الصفحة الأولى والأخيرة، فتوضع صورة منها، في قسم الدراسة، لتعطي نموذجا عن الكتاب المخطوط وحالته.

ثم بعد ذلك يعرف المحقق بالكتاب المخطوط، من حيث موضوعه، ومنهجه، وأسلوبه، وأهميته، وأصالته في فنه، واعتماد غيره عليه إن كان كذلك، أو اعتماده على غيره إن كانت الأخرى، وذكر مصادره، والمآخذ عليه إن كانت، من حيث الأسلوب أو الموضوع.

(مح/12) تحقيق متن الكتاب المخطوط (إخراج النص)

1- مقدمات التحقيق:

يجمع جميع من اشتغل في التحقيق، أن هذا الفن يحتاج المحقق في إلى خلتين، هما: الصبر والأمان.

أ- أمانة المحقق: أن يؤدي محقق الكتاب المخطوط أداء صادقا كما وضعه مؤلفه، كما وكيفا، ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا، إنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ. لأن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته.

وقد يقال: كيف نترك ذلك الخطأ يشيع، وكيف نعالجه؟ فالجواب أن المحقق إن فطن إلى شيء من ذلك الخطأ نبّه إليه في الهامش، وبيّن وجه الصواب فيه، وبذلك يحقق الأمانة، ويؤدي واجب العلم.

ب- المقابلة بين النسخ: إذا توفر في نسخة ما، ما يجعلها أصلية (كأن كانت بخط المؤلف، أو كانت الأقدم أو أكثر ضبطا) فإنها تعطى اسما ويرمز لها بحرف من حروفه، أو أي حرف آخر، مثلا: نسخة القاهرة (ق) نسخة الجزائر (ج) ثم تجعل أصلا تقارن عليه جميع النسخ الأخرى، وما وجد من فرق أو نقص أو تغيير أثبت في الهامش.

ملاحظة: إذا كانت النسخ متقاربة من حيث الأهمية، وليست من بينها نسخة فائقة، فالذي درج عليه المحققون أن تعتبر كلُّها أصولا، يصحح بعضها بعضا، ويكمل بعضها بعضا، وهو مايسمى بالنص المختار، فيكتب في متن الكتاب ما أجمعت عليه النسخ عند الاتفاق.

هناك طريقة جديدة في دراسة النسخ المخطوطة لأي كتاب تقوم على الاختلافات والفروق بينها، وتوصل بصورة علمية إلى فهم مراحل تطور كتاب النص، وإثبات أو نفي وجود علاقة بين النسخ، يطلق عليها في الغرب اسم: "النواقص المهمة".

وفيما يلي المصطلحات المندرجة تحت هذه الطريقة:

- الاختلافات "النواقص": وهي اختلافات لا دخل لإرادة الناسخ وتفكيره فيها:
  1- النواقص المهمة: وهي الجمل التي تتضمن أكثر من كلمتين،
  2- نقص كلمات: نقص كلمة أو كلمتين
  3- نقص أحرف: نقص أحرف الأشكال الهندسية أو الأحرف الخاصة بالبراهين الرياضية أو غيره،
  4- أخطاء: كتابة كلمة بدلا من كلمة أخرى، وهي نتيجة القراءة الخاطئة أو جهل الناسخ
- الاختلافات "الإضافات": وهي اختلافات ناتجة عن تدخل الناسخ متعمدا:
  1- الإضافات المهمة: وهي عكس النواقص المهمة،
  2- إضافات أقل أهمية: وهي ناتجة عن تدخل الناسخ المتواضع والمحدد بكلمة أو بكلمتين،
  3- فروقات: إضافة كلمات أو مفاهيم صحيحة، ولكنها مختلفة عن نسخة الأصل،
  4- انعكاس: انعكاس ترتيب كلمات أو حروف،
  5- الخط: أخطاء إملائي

على أن غاية هذه الطريقة نجد لها صدى وحضورا عند أئمة التحقيق المسلمين، المتقدين والمتأخرين، عند مقارنتهم بين النسخ وإخراج النصوص الأصلية.

ت- ضرورة معرفة بعض الإشارات الكتابية: منها:

علامة الإلحاق التي توضع لإثبات بعض الأسقاط خارج سطور المخطوط، وهي خط رأسي يرسم بين الكلمتين، يعطف بخط أفقي يمينا أو يسارا إلى الجهة التي دون فيها السقط. (¬)

التعقيبة: وهي نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب صفحات مؤلفاتهم، وتسمى (الرقاص والوصلة) وهي أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة تحت آخر كلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الموالية..

الأرقام تحتاج كذلك إلى خبرة خاصة (الأرقام الهندية)

النقط تختلف طرائقه في الكتابة المشرقية والكتابة المغربية..

معرفة نظام الكتابة، الترتيب الألفبائي والأبجدي..

توسيع ثقافة المحقق حول موضوع الكتاب المخطوط حتى يفهم النص فهما سليما.. والتمرس بأسلوب المؤلف بالرجوع إلى أكبر قدر مستطاع من مؤلفاته، أو كتب الشروح، إن كانت عليه شروح

2- إخراج نص المخطوط:

1.2- الضبط: إن أداء الضبط جزء من أداء النص، وهو يحتاج إلى التدقيق والتريث، كما يحتاج إلى قدر كبير من التحرز عن الانسياق إلى المألوف، فقد ترد كلمة (الكَهْوَل) بمعنى بيت العنكبوت، فيضبطها المحقق خطأ بالكهول.. مما تسوق الألفة إليه.

إذا على المحقق أن يعتني بضبط الكلمات والمصطلحات وشرح الغريب، خاصة الكلمات التي تتفق صورتها، وتختلف معانيها باختلاف شكل حركاتها (مثلثات الكلام لقطرب).. أما بالنسبة للغريب، فعلى المحقق أن لا يسرف في ذلك؛ بل يقتصر على شرح الكلمات التي لا يدرك معناها إلا باستعمال المعاجم، فإن توضيح الواضح تزيّد لا طائل من ورائه.. ولا يغفل الرجوع إلى المعاجم الاصطلاحية، إذا كان اللفظ مصطلحا، مثل: "التعريفات" للجرجاني (ت816ه).

على المحقق ضبط أعلام الأشخاص وألقابهم، وأسماء الأماكن والقبائل والبلدان، فإن الأعلام أولى الألفاظ بالضبط، لأنه ليس قبلها ولا بعدها ما يدل عليها، ولا يدخلها القياس، ويكون ذلك بالرجوع إلى كتب الرجال، ومعاجم البلدان، خصوصا ما يعتني منها بالضبط والتفريق بين المشتبه، مثل: "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" لأبي عبيد البكري (ت487ه)، معجم البلدان و"معجم الأدباء لياقوت" الحموي (ت626ه)

2.2- التخريج: من أهم الأعمال التي تبذل في خدمة النص وتوثيقه، تخريج النصوص التي يستشهد بها المؤلف، وتوثيقها.. والنصوص التي يحتاج إلى تخريجها، هي:

أ- الآيات القرآنية: تُخرّج الآيات القرآنية من المعاجم المعدة لذلك، مثل: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي.، وقد أغنت أقراص الحاسوب في وقتنا عن الرجوع إليها، لما توفره من وقت وأمن السلامة من الخطأ.

وإذا كان في أصل المخطوط خطأ في الآية، لا تحتمله قراءة من القراءات غيّر إلى الصواب، وأشير إليه في الهامش.

وينبغي أن لا يعتمد الباحث في تخريج الآيات على حفظه، فقد تشتبه عليه الآيات، وتلتبس، فلا يفطن لسقط، أو تغيير أوقعه سهو المؤلف أو الناسخ.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مخطوط كتاب "الحيوان":

(إني مبتليكم بنهر) والصحيح: (إن الله مبتليكم بنهر)..

ويخبرنا عبد السلام هارون على ما وقف عليه شخصيا من أخطاء وأوهام النساخ والمحققين في تخريج آي الذكر الحكيم في بعض أمهات الكتب اللغوية، مثل: تهذيب اللغة، كتاب سيبويه، مقاييس اللغة.. وهو الذي تصدى في أثناء تحقيقه لكتاب الحيوان لتصويب هذه التحريفات.

يقول عبد السلام هارون: تحقيق النصوص القرآنية لا يكفي فيه أن نرجع إلى المصحف المتداول؛ بل لا بد فيه من الرجوع إلى كتب القراءات وكتب التفاسير، ففي كتب القراءات يرجع إلى كتب القراءات السبع، ثم العشر، ثم الأربعة عشر، ثم كتب القراءات الشاذة.

ت- الأحاديث النبوية الشـــريفة: ينبغي الاعتناء بتخريج الأحاديث تخريجا علميا صـــحيحا، أيًّا كان موضوع الكتاب الواردة فيه، شريعة، لغة، أدب، تاريخ.. فإننا نجد أحيانا بعض محققي كتب الأدب

أو اللغة.. يولون اهتماما زائدا بتخريج الشعر، وذكر رواياته، واختلاف نسبته..مما يقتضيه توثيق النص وتحقيقه، على حين أنهم لا يهتمون الاهتمام ذاته بتخريج الأحاديث.

إن الأحاديث أولى بالتخريج من غيرها، لأنها استوت مع غيرها في كونها نصوصا، يحتم اتباع المنهج العلمي في التحقيق تخريجها، وزادت على غيرها من النصوص الأدبية الأخرى في كونها دينا يُتعبد به، وهديا نبويا يهتدى به.

وتخريج الأحاديث يكون بالرجوع إلى كتب السنّة، مثل الصحيحين (البخاري ومسلم) أو موطأ مالك مسندا، أو كتب السنن الأربعة (النَّسائي وأبوداود والترمذي وابن ماجة). .وإذا تعذر ذلك رجع إلى كتب المسانيد، مثل: مسند أحمد، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند الدرامي. وفي المصنفات، مثل مصنف عبد الرزاق، وفي السنن، مثل "السنن الكبرى" للبيهقي، وفي المعاجم، مثل "معاجم الطبراني، الصغير والكبير والأوسط"..كما ينبغي الرجوع إلى الكتب المؤلفة في الموضوعات والأحاديث الضعيفة، مثل "الموضوعات لابن الجوزي (ت597ه) و"المقاصد الحسنة" للسخاوي (ت902ه) و"اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" للسيوطي (ت911ه)..وكذلك كتب غريب الحديث، "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت 606ه)، و"الفائق في غريب الحديث والأثر" للزمخشري(ت538ه)..

وتوجد الآن أقراص الحاسوب قد تغني عن كثير من هذه الكتب.

ث- تخريج الشعر: إذا لم يكن البيت تاما أتمه، وإذا لم يكن البيت منسوبا، نسبه المحقق إلى قائله، وبين بحره ومناسبته، وخرّجه من ديوان الشاعر، إن كان له ديوان، فإن لم يكن له ديوان، بحث عنه في المجاميع الشعرية، مثل: "المفضّليات" للمفضل الضبي (ت168ه)، و"الأصمعيات" للأصمعي، و"معجم شواهد العربية" لعبد السلام هارون.. وكتب اللغة والأدب..

ج- تخريج الأمثال: تخرج من مظانها، مثل: "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (ت395ه)، و"مجمع الأمثال" للميداني (ت518ه)، "المستقصى" للزمخشري..

ح- التعريف بالأعلام: يقتصر في التعريف بالأعلام على غير المشهورين، وبشكل مختصر، بحيث يميزه عن غيره باسمه ونسبه ولقبه وكنيته وتاريخ ميلاده ووفاته وشهرته، إن كان محدثا أو أديبا أو لغويا..

خ- تخريج النصوص المقتبسة: الرجوع إلى مصادر المؤلف ضروري، لأنه يضيف اطمئنانا إلى صحة النص المحقق، وعلى المحقق أن لا يسرف في ذلك؛ فبعض الكتب لها طابع تجميعي محض، كل جزئياتها ومسائلها مأخوذة من مصادر أخرى

3- التغييرات التي يسمح بها للمحقق:

يسمح للمحقق بالتغييرات الآتية: الرسم الإملائي، تكميل الاختصارات والرموز، وضع العناوين، ترقيم المسائل، علامات الترقيم:

أ- الرسم الإملائي: الكتابة في المخطوطات القديمة تختلف في كثير من مظاهرها عن طريقة الإملاء الحديثة، من ذلك:

- خلو الحروف المعجمة من النَّقط، أو نقطها نقطا مخالفا، مثل إهمال: الفاء والقاف..
- حذف الألفات أحيانا من وسط الكلمة، كما في سليمان، وحارث، ومالك وإبراهيم..سليمن، حرث.
- حذف الهمزة: خصوصا في أواخر الكلمات، مثل: دعاء (دعا)، سماء (سما)..
- قد لا ينقطون الياء في آخر الكلمة، فلا يفرق القارئ بين أبي بالإضافة وبين أبى بمعنى امتنع.
- قد لا يكتبون الألف الفارقة، التي تختص بواو الجماعة في أواخر الأفعال: استغفرو، نظرو..
- كثيرا ما يكتبون تاء التأنيث في آخر الأسماء مفتوحة، فنعمة ورحمة تكتب: نعمت، رحمت..

هذه الوجوه وغيرها من الاختلافات في الكتابة لا يتقيد بها المحقق؛ بل يصلحها بما يوافق قواعد الإملاء الحديثة.

ب- وضع العناوين: إذا كان المخطوط خاليا من العناوين، أو التقسيم إلى أبواب وفصول، فإنه يضع لكل طائفة من مسائله عنوان، ويقسم إلى أبواب وفصول، وتوضع هذه العناوين بعلامة الزيادة: المعكوفتين.

ت- علامات الترقيم (التنصيص): وضع علامات الترقيم من الأمور المهمة، التي تساعد على توضيح النص وتجليته، وتوجه إلى مقصوده ومعناه، إذا استعملت استعمالا صحيحا.

مثال ذلك: في وضع النقطتين (:) في غير موضعها: "صاح الحارس عليه: قف" و " صاح الحارس: عليه قف "..تغير المعنى بتغير موضع النقطتين، من الأمر بالوقوف إلى أمر بالوقوف على شيء معيز.

وإذا وجدت عبارة: (ما أشرف العلم) متبوعة بعلامة استفهام (؟) عُلِمَ أن كلمة (أشرف) مضمومة، وكلمة (العلم) مكسورة، وأن الكلام ينتظر جوابا، فيقال في الجواب مثلا: العلم بكتاب الله وسنة رسوله... وإذا وجدت العبارة نفسها متبوعة بعلامة التأثر/التعجب (!) عُلم أن الكلمتين مفتوحتان، وأنك تريد القارئ أن يتعجب من شرف العلم، إذا فوضع إحدى علامتي الترقيم بدل الأخرى، يغير المعنى.

4- وضع فهارس للكتاب المخطوط:

الفهرس أو الثبت، من مكملات التحقيق التي يتعين على المحقق عملها، فهو مفتاح الكتاب ودليله، الذي يأخذ بيد القارئ، ويرشده إلى حاجته منه، وبدونه يقل نفعه، ويتعسر استعماله، ويكون انصراف الناس عنه.

وجودة فهرس الكتاب واتقانها تقاسان بحسن دلالتها على محتواه، سرعة وصوابا.

وهناك قدر مشترك من الفهارس، تشترك فيه أغلب الكتب، وهو على الترتيب:

فهرس الآيات القرآنية – فهرس الأحاديث النبوية – فهرس الشعر – فهرس الأمثال والحكم – فهرس الأعلام والقبائل – فهرس المذاهب والفرق والطوائف – فهرس الأماكن والبلدان والمواضع – فهرس المصطلحات العلمية – فهرس الألفاظ اللغوية – فهرس الكتب الواردة في النص – فهرس المصادر والمراجع المعتمدة من طرف المحقق – فهرس عام لموضوعات الكتاب.

(م 13) التصحيف والتحريف في المخطوطات العربية

1- معنى التصحيف والتحريف:

التصحيف والتحريف هما أكبر آفة منيت بها الآثار العلمية، فلا يكاد كتاب منها يسلم من ذلك، وبعض العلماء الأقدمين يفرقون بين مدلولي الكلمتين، فالعسكري، وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد (293ه/382ه) وهو من أقدم من ألف في هذا الفن، يضع حدّا فاصلا بينهما.

يقول العسكري في صدر كتابه: "التصحيف والتحريف": فأما معنى قولهم الصحفي والتصحيف، فقد قال الخليل: إن الصحفي الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف..". بمعنى أن التصحيف متعلق باللبس في تغيير شكل الحروف المتشابهة من الناحية الصورية.

وعقد السيوطي في المزهر فصلا عن التصحيف والتحريف، ولم يفصل بينهما فصلا دقيقا، أما ابن حجر في "شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" فيفرق بين النوعين فرقا واضحا، قال: "إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط، فالمُصَحَّف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرف".

فهو يجعل التصحيف خاصا بالالتباس في نقط الحروف المتشابهة في الشكل كالباء والثاء والتاء، والجيم والحاء والخاء.. فإن صور تلك الحروف واحدة، ولا يفرق بينها في الكتابة الحديثة إلا النقط أو مقدارها.

أما التحريف فهو خاص بتغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء والذال واللام والنون والزاي في الحروف المتقاربة الصورة، والميم والقاف واللام والعين في الحروف المتباعدة الصورة.

إذا: "التصحيف هو التغيير في نقط حروف الكلمة خاصة، مثل: رجل ورحل، وحصر وخضر، ومثل ما صحف: زُر غِبًّا تزدد حبا إلى: زَرْعُنَا تَرَدَّدَ حَنًّا، زاعما أنهم لما بخلوا بالصدقة صارت زروعهم حنّاء".

والتحريف: هو التغيير في حروف الكلمة، أو في إعرابها

والتغيير في الحروف يكون باستبدال حرف مكان حرف، ويكون بزيادة حرف في الكلمة أو بنقصانه منها.

2- من أمثلة التصحيف في تراثنا العربي:

من طرائف التصحيف ما ورد في إحدى مخطوطات الحيوان، في خطبة من خطب الحجاج: "يا أهل الشام، أنتم الجُبَّةُ والرداء" وإنما هي: "الجُنَّةُ" بالجيم المضمومة والنون المشددة، وهي ما واراك من السلاح واستترت به.

قال السيوطي: "قيل إن النصارى كُفّروا بلفظة أخطأوا في إعجامها وشكلها، قال الله في الإنجيل لعيسى عليه السلام: أنت نَبِي، وَلَّدتُكَ من البتول، فصحَّفوها، وقالوا: أنتَ بُنَي ولَدتُك من البتول، بتخفيف اللام".

صحّف بعضهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام في النهي عن الحِلق -بكسر الحاء وفتح اللام- قبل صلاة الجمعة، فرواه: "عن الحَلْقِ" بفتح الحاء وسكون اللام، قال الخطابي في كتاب "إصلاح خطأ المحدّثين" قال لي بعض مشائخنا: لم أحلق رأسي قبل الصلاة نحو أربعين سنة، بعدما سمعت الحديث.

حكى القاضي أحمد بن كامل عن أبي العيناء، قال: حضرت بعض مشايخ الحديث من المغفلين، فقال: عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، عن جبريل عن الله عن رجل..(الصحيح: عز وجل) قال، فنظرت فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخا لله؟ فإذا هو صحفه، وإذا هو: عز وجل.

3- كتب التصحيف والتحريف:

من كتب التصحيف كتاب "التشبيهات" على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة البصري (ت375ه) وكتاب "التنبيه على حدوث التصحيف" لحمزة ابن حسن الأصفهاني.

4- تاريخه:

تاريخ التصحيف والتحريف قديم جدا، قد وقع فيه جماعة من الفضلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الإمام أحمد بن حنبل: "ومن يعرى من الخطأ والتصـــحيف". ففي كتاب الله قرأ عثمان بن أبي

شـــيبة: "جعل الســـفينة في رِجل أخيه". وكان حمزة الزيات يتلو القرآن من المصـــحف، فقرأ يوما وأبوه يسمع: "ألم ذلك الكتاب لا زيت فيه". فقال أبوه: دع المصحف وتلقّن من أفواه الرجال.

وقد ورد كثير من ذلك في اللغة والشـــعر والأعلام، مما يطول الحديث فيه، وقد عمت هذه البلوى حتى قالوا: لا تأخذوا القرآن من مصـــحفي، ولا العلم من صـــحفي، وكما كانوا يهجون الصـــحفيين كانوا يمدحون من لا يعتمد على الصحف في علمه.

ولخشـية التصـحيف نجد بعض المؤلفين يلجئون إلى مخالفة المعروف في اللغة، ليُجَنِّبوا وقوع غيرهم في الخطأ، جاء في صحاح الجوهري (ص 685) في مادة (سعتر): "السعتر: نبت" وبعضهم يكتبه بالصاد في كتب الطب لَئلا يلتبس بالشعير.

5- التصحيف في المعاجم العربية:

لعل أول ما يؤخذ على معاجمنا جميعا التصحيف، فكان من الممكن أن تقرأ المواد على عدة أوجه، ولم يأبه أصـحاب المعاجم الأولى لدفع هذا الخطر عن كتبهم، حتى جاء أبو علي القالي، فضـبط ألفاظه في البارع بالعبارة، ولكن العلماء بعده أهملوا ســـنته حتى أحياها المجد الفيروزآبادي في القاموس المحيط، وكانت هذه خطوة محمودة في درء تصـحيف الحركات. ويكفي دليلا على خطر التصـحيف أن لم يسلم منه لغوي، وأن قال فيه الأئمة من ذا الذي سلم من التصحيف"، وقد وقع في التصحيف المتأخرون من أصحاب المعاجم أيضـا، فهذا أحمد فارس الشـدياق يعقد النقد الثالث والعشـرين لتصـحيف الفيروزآبادي، وهذا الأب أنسـتاس ماري الكرملي يخصـص أكثر ما في كتابه "أغاليط اللغويين" لتصـحيف مدرسـة اليسـوعيين من المعجميين.

ومن آثار هذا التصـــحيف الواســـع النطاق وجود عدد كبير من الكلمات لا تعرف حركاتها ولا حروفها على وجه اليقين، وكثرت الألفاظ التي ادعى فيها أصـحابها إبدال الحروف، ونسـب ذلك إلى قبائل العرب، وابتكرت ألفاظ ربما لم تعرفها العربية أبدا.

6- من أشكال التصحيف "تصحيف العين وتصحيف الأذن":

من التصحيف ما يكون سببه العين، فيسمونه تصحيف البصر، ومنه ما يكون سببه الأذن، لأن الحروف الواقع فيها التصحيف لا تشتبه على العين، وإنما جاء التصحيف فيها عن طريق السمع، فيسمونه تصحيف السمع.

مثال أول: صحّف بعضهم قول عمر رضي الله عنه: "لا يرث حميل[1] إلا ببينة"، فقل: "لا يرث جميل بثينة".

أما تصحيف السمع، فمثاله: "أن بعضهم ذكر سندا فيه: عاصم الأحول، فقال: واصل الأحدب".

7- كيفية تقويم التصحيف:

تقويم التصحيف يحتاج إلى دربة، يساعد عليها:

- كثرة الاطلاع على ما وقع للعلماء منه،
- كما يحتاج إلى اطلاع واسع في الفن الذي يدور عليه موضوع الكلام المصحف،
- هذا، بالإضافة إلى كثرة الرجوع إلى مصادر ذلك الفن، فقد يهتدي الباحث على الجملة برمتها في مصدر من المصادر، أو يجد معناها يدور في تعبير آخر، يلهمه إلى وجه الصواب في الكلمة المصحفة.

[1] الحميل: ما يُحمل من بلاد الروم وغيرها من السبي وهم صغار، فيدّعي بعضهم أنساب بعض، فلا يقبل ذلك منهم إلا ببينة. (ينظر: تصحيفات المحدثين، ص62) . الصادق بن عبد الرحمن، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، ص159